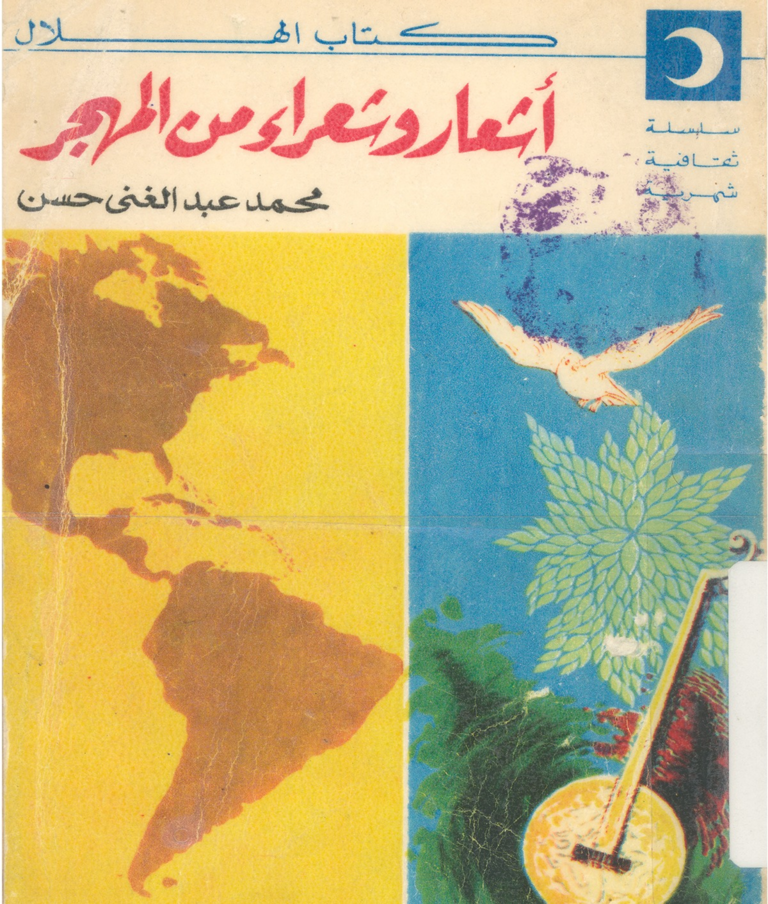

كتاب الهلال
أشعار وشعراء من المهجر
محمد عبد الغني حسن
سلسلة
ثقافية
شهرية

كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »

رئيس مجلس الإدارة : يوسف السباعى

رئيس التحرير : صالح جودت

المشرف الفنى : جمال قطب

سكرتير التحرير : عايدة عياد

العدد ٢٦٦ - محرم ١٣٩٣ - فبراير ١٩٧٣

No. 266 — Février 1973

مركز الادارة

دار الهلال ١٦ محمد عز العرب

تليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى : (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادى البريد العربى والافريقى ١٠٠ قرش صاغ - فى سائر انحاء العالم ٥ر٥ دولارات أمريكية أو ٢ جنيه - والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : فى جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . فى الخارج بشيك مصرفى قابل للصرف فى جمهورية مصر العربية - والاسعار الموضحة أعلاه بالبريد العادى - وتضاف لها عند الطلب على

إهداء 2005

الكاتب الإعلامي/ فاروق خورشيد

القاهرة

کتاب الهلال



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

الغلاف بريشة
الفنان جمال قطب

محمد عبد الغني حسن

أشعار وشعراء من المهجر

دار الهلال

الشاعر

عنـدما ابدع هـذا الـكون رب العالميـنـا
ورای کل الذی فیـه جمیـلا . ونمینا
خلق الشـاعر کی یخلق للنـاس عیـونا
تبصر الحسن وتهواه حراکا وسـكونا
وزمانا ومكانا وشـخوصـا وشئونا
فارتقى الخلق ، وكانوا قبله لا يرتقونا
واستمر الحسن فى الدنيا ودام الحب فينا ..!

ایلیا ابو ماضی

الفصل الاول

شعراء المهجر الشّمالي

إيليا أبو ماضى

١٨٨٩ – ١٩٥٧

هناك فى قرية « المحيدثة » ، من أعمال لبنان كانت الدنيا تتطلع لتستقبل مولد شاعر كتب له أن يسمع العالم الجديد أصواتا صافية من العالم القديم ، وكانت سنة ١٨٨٩ هى السنة التى حملت الى العالم نبأ هذا النجم الذى لم يكن أحد ليدرى أنه سيحتل مكان الزعامة فى شعر المهجر . وقد أسلس الشعر له قياده وهو على أبواب البلوغ ، ولم يكد يبلغ الحادية عشرة من عمره حتى هاجر الى مصر سنة ١٩٠٠ ، فما وافت سنه العشرين حتى كان يحرر فى بعض الصحف والمجلات بمصر ، الى أن جاءت سنة ١٩١١ فتحركت فيه نوازع الهجرة الى العالم الجديد ، فقصد الولايات المتحدة ، وأقام فى سنسناتى . وفى صيف سنة ١٩٢٦ انتقل الى نيويورك ليعمل فى الميدان الادبى . ولما انشئت « الرابطة القلمية » فى نيويورك برياسة جبران خليل جبران كان أبو ماضى من أنصارها العاملين ، وان لم يكن من الذين حضروا أول اجتماعاتها فى ابريل سنة ١٩٢٠ .

وفى ابريل سنة ١٩٢٩ انشأ المترجم له جريدة « السمير » بنيويورك ، وكانت تصدر حافلة بنفثات

يراعته ويراع المعاونين له فى تحريرها ، ويتوج صدر مجلة « السمير » بيتان من الشعر هما أصدق تعبير عن روح المترجم له وعاطفته الادبية يقول فيهما :

أنا لا اهدى اليكم ورقا
غيركم يرضى بحبر وورق
انما اهدى الى أرواحكم
فكرا تبقى اذا الطرس احترق

ويشهد مؤرخ « تاريخ الصحافة العربية » بأن مجلة « السمير » تعد فى هذا الزمان من أوسع المجلات العربية انتشارا فى العالم الجديد (١) !..

وفى سنة ١٩٥٧ وقبيل وفاة أبى ماضى بقليل احتجبت مجلة « السمير » ، وبيعت مطابعها ومكاتبها وحروفها .

وأول ديوان من الشعر ظهر لأبى ماضى هو « تذكار الماضى » (٢) الذى طبع بالاسكندرية سنة ١٩١١ حينما كانت سن الشاعر اثنين وعشرين عاما ، ويشمل القصائد التى نظمها فى مصر . وبعد هجرته الى أمريكا بخمس سنوات نشر الجزء الثانى من ديوانه ، بعنوان « ديوان ايليا أبو ماضى » وطبع فى نيويورك سنة ١٩١٦ ، ويحتوى على مجموعة من شعر التأملات والشعر الوطنى والقصص الشعرى الغرامى . وفى سنة ١٩٢٧ نشر ديوان « الجداول » الذى طبع فى مطبعة « مرآة الغرب » بنيويورك ، وكتب مقدمته الشاعر ميخائيل نعيمة قائلا فيها : « فبين هذه الجداول ما تنساب معه زوحى مترقرقة ، مترنمة ، مطمئنة ، جذلة بنور فى عينيها ، وجمال فى جانبيها . مرحة بحرية لا أرصاد عليها ولا قيود ، ومدى لا آفاق له ولا حدود»

---

(١) تاريخ الصحافة العربية : لطرازى ج ٤ ص ٤٢٩
(٢) معجم المطبوعات العربية ليوسف سركيس ج ١ ص ٣٤٤

فكانت اكرم واصدق تحية من شاعر الى شاعر .

وفى سنة ١٩٤٦ ظهر للمترجم له ديوان « الخمائل » فلقى من الرواج والترحيب ما اقتضى اعادة طبعه فى زمن يسير . اما ديوانه « تبر وتراب » فقد نشر بعد وفاته بهمة شقيقه مراد وصديقه الوفى الشاعر جورج صيدح ، وقد انعقد الاجماع على أن ايليا أبا ماضى هو بلا جدال أمير شعراء العرب فى المهجر لو بقى فى دولة الشعر امراء ! !

واقيم للشاعر أبى ماضى حفلان لتأبينه ، كان أولهما فى بيروت فى يناير سنة ١٩٥٨ ، وثانيهما فى النادى العربى بدمشق فى الشهر نفسه . وقد أبدع الشاعر جورج صيدح فى رثائه بمطولة جيدة يقول فيها :

يا شاعرى ما زال أنضاء السرى
يترسمون خيـــالك الوثابا
فى «الدمعة الخرساء» ، فى « العنقاء »
فى « الطين » الذى لبس النضار ثيابا
فى رقرقات ســحابة مسحورة
فى رفرفات فراشــة تتصــابى !
فى بسمة رفت على شفة المنى
واستقطرت شهد الحياة رضابا ..

باقة من اشعاره

ابتسم

قال : السـماء كئيبة وتجهما
قلت : ابتسم يكفى التجهم فى السما
قال : الصبا ولى فقلت له : ابتسم
لن يرجع الاسف الصبا المتصرما ..
قال : التى كانت سمائى فى الهوى
صارت لنفسى فى الغرام جهنما
خانت عهودى بعد ما ملكتها
قلبى ، فكيف اطيق ان اتبسما ؟

قلت : ابتسم واطرب فلو قارنتها
قضيت عمـرك كله متألـما
قال : التجارة فى صراع هائل
مثل المسافر كاد يقتله الظما
او غادة مسلولة محتـاجة
لدم وتنفث كلمـا لهثت دما
قلت : ابتسم ما انت جالب دائهـا
وشفائها ، فاذا ابتسمت فربما ...

أيكون غيرك مجرما وتبيت فى
وجل كأنك انت صرت المجرما ؟

قال : العـدا حولى علت صيحاتهم
أأسر والاعداء حولى فى الحمى ؟
قلت : ابتســم ، لم يطلبوك بذمهم
لو لم تكن منهم أجل وأعظما !

***

قال : المواسم قد بدت أعلامها
وتعرضت لى فى الملابس والدمى
وعلى للأحبـــاب فرض لازم
لـكن كفى ليس تملك درهمـا
قلت : ابتسم يكفيك أنك لم تزل
حيـا ، ولست من الاحبة معـدما ؟

***

قال : الليـالى جرعتنى علقما
قلت : ابتسم ولئن جرعت علقما !
فلعـــل غيرك ان رآك مرنما
طرح الـكآبة جانبا وترنما ...

أتراك تغنم بالتبرم درهمــا
أم أنت تخسر بالبشاشـــة مغنما ؟

يا صاح ! لا خطر على شـفتيك أن
تتثلما ، والوجـه أن يتحطمـا
فاضحك! فان الشهب تضحك والدجى
متـــلاطم ، ولذا نحب الانجما

قال : البشاشـة ليس تسـعد كائنا
يأتى الى الدنيا ويذهب مرغما
قلت : ابتسم ما دام بينـك والردى
شبر ، فانك بعد لن تتبسما !

الـــكريم

قالوا : الا تصف الـكريـ ـم لنا ؟ فقلت على البديه
ان الـــكريم لـكالربيـ ـع تحبه للحسن فيه
وتهش عنـــد لقـــائه ويغيب عنـك فتشتهيه
لا يرتضي أبدا لصـــا حبه الذى لا يرتضيه
واذا الليـــالى ساعفتـ ـه لا يذل ولا يتيه
وتراه يبســـم هازئا فى غمرة الخطب الكريه
واذا تحرق حاســـدو ه بكي ورق لحاسديه
كالورد ينفح بالشـــذى حتى انوف السارقيه...

الطين

نسى الطين ســـاعة انه طيـ
ـن حقير فصالِ تيها وعربد
وكسا الخز جســـمه فتباهى
وحوى المـــال كيســـه فتمرد
يا أخي ! لا تمل بوجهك عنى
ما انا فحمــة ولا انت فرقـد
انت لم تصنع الحرير الذى تلـ
ـبس واللؤلؤ الذى تتقـــلد
انت لا تأكل النضار اذا جعـ
ـت ولا تشرب الجمان المنضد
انت فى البردة الموشـــاة مثلى
فى كسائى الرديم تشقى وتسعد
لك فى عالم النهـــــار أمان
ورؤى ، والظلام فوقك ممتد

ولقلبى كما لقلبـــك أحـــلا
م حسان فانه غير جلمـد ...

***

امانى كلهـــــا من تراب
وأمانيــك كلهـــا من عسجد ؟
وأمانى كلهـــا للتـــلاشى
وأمانيــــك للخلود المؤكد ؟
لا ! فهذى وتلك تأتى وتمضى
كذويهـــا ، وأى شىء يؤبد ؟

ايها المزدهى اذا مسـك السقـ
ـم الا تشتكى ؟ الا تتنهد ؟
واذا راعك الحبـــيب بهجر
ودعتك الذكرى الا تتوجـــد ؟
أنت مثلى يهش وجهـك للنعـ
ـمى وفى حـالة المصيبـة يكمد
ادموعى خل ودمعك شـــهد
وبكائى ذل ونوحك سـؤدد ؟

وابتسامى السراب لا رى فيه
وابتســاماتك اللآلى الخرد ؟
فلك واحــد يظــل كلينـــا
حار طـرفى به وطـرفك ارمـد
قمـر واحــد يطــل علينـــا
وعلى الـكوخ والبنـــاء الموطـد

ان يكن مشرقا لعينيـــك انى
لا أراه من كوة الـكوخ اسود
النجـــوم التى تراهـا أراهـا
حين تخفى وعنـد ما تتوقـد

لست أدنى ــ على غنــاك ــ اليهــا
وأنا مع خصاصتى لست أبعد

***

أنت مثـــلى من الثرى واليه
فلماذا يا صاحبى التيه والصد
كنت طفلا اذ كنت طفلا وتغدو
حين أغدو شــيخا كبيرا أدرد
لست أدرى من أين جئت ولا ما
كنت ، أو ما أكون يا صــاح فى غد
أفتـــدرى ؟ اذن فخبر والا
فلمــــاذا تظن أنك أوحد ؟
ألك القصر دونه الحرس الشــا
كى ومن حوله الجدار المشيد ؟
فامنع الليـــل أن يمد رواقا
فوقه ، والضبـــاب أن يتلبـد
وانظر النور كيف يدخل لا يطـ
ـلب اذنا ، فما له ليس يطرد ؟
مرقــد واحــد نصيبـــك منـه
أفتدرى كم فيك للذر مرقد ؟
ذدتنى عنه والعواصــف تعــدو
فى طـــــلابى والجو أقتم أربد
بينما الـكلب واجد فيه مأوى
وطعاما ، والهر كالـكلب يرفد
فسمعت الحيـــاة تضحك منى
اترجى ، ومنك تأبى وتجحـــد

***

ألك الروضــة الجميــلة فيها الـ
ـماء والطـير والازاهر والنـد ؟

فازجر الريح أن تهـز وتلوى
شجر الروض . . . انه يتأود
والجم المـاء فى الغـدير ومره
لا يصفق الا وانت بمشـــهد
ان طـير الاراك ليس يبـالى
انت أصـــفيت أم أنا ان غرد
والازاهـير ليس تسخر من فقـ
ـرى ولا فيك للغنى تتورد ...
ألك النهر ؟ انه للنســيم الر
طب درب وللعصـــافير مورد
وهو للشهب تستحم به فى الصـ
ـيف ليـلا كأنها تتبرد . . .
تدعيــه ، فهـل بأمرك يجرى
فى عروق الاشجار أو يتجعد ؟
كان من قبل أن تجىء ، وتمضى
وهو باق فى الارض للجزر والمد

***

ألك الحقل ؟ هذه النحل تجنى الشـ
ـهد من زهره ولا تتردد ؟
وأرى للنمــال ملـكا كبيرا
قد بنته بالـكدح فيه وبالـكد
انت فى شرعها دخيل على الحقـ
ـل ولص جنى عليهـا فأفسد
لو ملـكت الحقـول فى الارض طـرا
لم تكن من فراشة الحقل اسعد
أجميل ؟ ما أنت أبهى من الور
دة ذات الشذى ولا انت اجود
أم عزيز ؟ وللبعوضة من خد

يك قوت وفى يديك المهنـد !
أم غنى ؟ هيهات تختال ، لولا
دودة القز ، بالحبـاء المبجـد
أم قوى ؟ اذن مر النوم اذ يغ
شاك والليل عن جفونك يرتد
وامنع الشـيب أن يلم بفوديـ
ك ومر تلبث النضارة فى الخد
أعليم ؟ فما الخيال الذى يطـ
ـرق نيلا ؟ فى أى دنيا يولد ؟
ما الحيـاة ألتى تبين وتخفى ؟
ما الزمان الذى يذم ويحمد ؟
أيها الطين ! لست أنقى وأسمى
من تراب ندوس أو تتوسـد
سدت أو لم تسد فما أنت الا
حيـــوان مســـير مستعبـد
ان قصرا سمكته سـوف يندك
وثوبا حبكته ســـــوف ينقد
لا يكن للخصام قلبـــك مأوى
ان قلبى للحب أصـــبح معبد
أنا أولى بالحب منـك وأحرى
من كسـاء يبلى ، ومال ينفد

هى ..

اروى لـكم عن شـاعر سـاحر
حكاية يحمـــــــــد راويها
قال : دعا أصحابه ســـــيد
فى ليـــلة رقت حواشيـــــها

فانتظمت فى قصره عصبة
كريمة لا واغل فيها
من نبلاء الشعب ساداتها
وخيرة الغيد غوانيها

حتى اذا ما جلسوا كلهم
وطاف بالاكواب ساقيها
قام أمير القصر فى كفه
كأس أعارته معانيها
وقال : يا صحب على ذكركم
أملؤها حبا واحسوها
وذكر من قلبى عبد لها
ومهجتى احدى جواريها
حبيبتى « لمياء » سميتها
ولم أكن قبلا أسميها
فشربوا كلهم سرها
وهتفوا كلهم تيها
فأجزل الشكر لاصحابه
الشكر للنعمة يبقيها

وصاح بالساقى علينا بها
فطاف بالاكواب ساقيها
وقال للأضياف : سمعا ! فلى
كلمة ، العدل يمليها
ما أنا وحدى الصب فيكم ولا
كل العذارى من أناجيها
فكل نفس مثل نفسى لها
فى هذه الدنيا أمانيها
وكل قلب مثل قلبى له
حسناء ترجوه ويرجوها

يا صحب من كانت به صبوة
يعلنهـا الآن ويبـديها
فنهضـوا ثانيـة كلهم
ورفعوا الكاسـات تنويها
كلهم يشـرب سـر التى
يهوى من العيـد ويطريها

***

وكان فى الشـرب فتى باسل
طلعتـه تسـحر رائيهـا
شـارك فى أول أقـداحهم
ولم يشـاركهم بثانيهـا
وأنت ؟ قال الصحب واستضحكوا :
هل لك حسـناء نحييها ؟
قال : أجل ، اشـرب سـر التى
بالروح تفـدينى وأفـديها
صـورتها فى القلب مطبـوعة
لا شيء حتى الموت يمحـوها
لا تترصـانى رياء ، ولا
تلثمنى كذبا وتمويهـا
يضـيع مالى ويزول الصـبا
وحبهـا باق وحبيهـا
قد وهبتنى روحهـا كلها
ولم تخف انى أضـحيها
سـر التى لا غادة بينكم
مهما سـمت فى الحب تحكيها
فأجفلوا منه كمن حيـة
نهاشـة قد عز راقيهـا
وقالت الفـادات : أف له

قد شـــوه المجلس تشويها
لو ظل فيما بيننا صامتا
لم تســمع الآذان مكروها
وقلقل الفتيــان أسيافهم
فأوشكت تبــدو حواشـيها
وتعتع الشــادى بألحانه
وماجت الـدار بمن فيهـا
وقال قوم : خبلتـه الطلا
وقال قوم : صـار معتوها
فصاح رب الدار : يا سيدى
وصـفتها ، لم لا تسميها ؟
أتخجل باسم من تهوى ؟
أحســناء بغير اسم ؟
فأطـرق غـير مكترث
وتمتم خاشعا ... أمى ...

كن بلسما

كن بلسما ان صار دهرك أرقما
وحلاوة ان صـار غيرك علقما
ان الحيـاة حبتـك كل كنوزها
لا تبخلن على الحياة ببعض ما
أحسن وان لم تجز حتى بالثنـا
اى الجزاء الغيث يبغى ان همى ؟
من ذا يكافىء زهـرة فواحـة
أو من يثيب البلبـل المترنما ؟

عد الكرام المحسنين وقسهم
بهما تجد هذين منهم اكرما
يا صاح خذ علم المحبة عنهما
أني وجدت الحب علما قيما

لو لم تفح هذي ، وهذا ما شدا
عاشت مذممة وعاش مذمما
أيقظ شعورك بالمحبة ان غفا
لولا شعور الناس كانوا كالدمى
أحبب فيغدو الكوخ كوخا نيرا
وابغض فيمسي الكوخ سجنا مظلما

ما الكأس ، لولا الخمر ، غير زجاجة
والمرء ، لولا الحب ، الا أعظما
كره الدجى فاسود الا شهبه
بقيت لتضحك منه كيف تجهما
لو تعشق البيداء أصبح رملها
زهرا ، وصار سرابها الخداع ما

لو لم يكن في الارض الا مبغض
لتبرمت بوجوده وتبرما
لاح الجمال الذي نهى فأحبه
ورآه ذو جهل فظن ورجما
لا تطلبن محبة من جاهل
المرء ليس يحب حتى يفهما

وارفق بأبناء الغباء كأنهم
مرضى ، فان الجهل شيء كالعمى
واله بورد الروض عن أشواكه
وانس العقارب ان رأيت الانجما

كم تشتكى

كم تشتكى وتقول انك معدم
والارض ملكك والسما والانجم ؟
ولك الحقول وزهرها واريجها
ونسيمها والبلبل المترنم

والماء حولك فضة رقراقة
والشمس فوقك عسجد يتضرم
والنور يبنى فى السفوح وفى الذرى
دورا مزخرفة وحينا يهدم
فكأنه الفنان يعرض عابثا
آياته قدام من يتعلم . . .

وكأنه لصفائه وسنائه
بحر تعوم به الطيور الحوم
هشت لك الدنيا فمالك واجما
وتبسمت فعلام لا تتبسم ؟

ان كنت مكتئبا لعز قد مضى
هيهات يرجعه اليك تندم
أو كنت تشفق من حلول مصيبه
هيهات يمنع أن تحل تجهم

أو كنت جاوزت الشباب فلا تقل
شاخ الزمان فانه لا يهرم
أنظر فما زالت تطل من الثرى
صور تكاد لحسنها تتكلم

ما بين اشجار كأن غصونها
أيد تصفق تارة وتسلم

وعيون ماء دافقـات فى الثرى
نشفى السـقيم كأنما هى زمزم !
ومســـارح فتن النسيم جمالها
فسرى يدندن تارة ويهمهم . . .

فـكأنه صب بباب حبيبـــة
متوسل ، مستعطف ، مسترحم
والجدول الجذلان يضحك لاهيـا
والنرجس الولهـــان مغف بحلم
وعلى الصعيد ملاءة من سندس
وعلى الهضاب لـكل حسن ميسم
فهنـــا مكان بالاريج معطـــر
وهناك طود بالشـــعاع معمم
صـــور وآيات تفيض بشاشــة
حتى كأن الله فيهــا يبسم !

فامش بعقلك فوقهـــا متفهما
ان المــــلاحة ملك من يتفهم
أتزور روحك جنـــة فتفوتها
كيما تزورك بالظنـــون جهنم ؟
وترى الحقيقة هيـكلا متجسـدا
فتعافها لوســـاوس تتوهم ؟
يا من يحن الى غد فى يومه
قد بعت ما تدرى بما لا تعلم ...

فلسفة الحياة

أيهذا الشـــاكى وما بك داء
كيف تغدو اذا غدوت عليــلا ؟

ان شر الجناة فى الارض نفس
تتوقى قبـل الرحيـل ، رحيـلا
وترى الشوك فى الورود وتعمى
أن ترى فوقهـا النـدى اكليلا
هو عبء على الحيـــاة ثقيل
من يظن الحيـــاة عبئا ثقيلا
والذى نفسه بغير جمـــــال
لا يرى فى الوجود شيئا جميلا

ليس أشقى ممن يرى العيش مرا
ويظن اللذات فيه فضـــــولا
احكم النـــاس فى الحياة أناس
عللوها فأحســـــــنوا التعليلا
فتمتع بالصبـح ما دمت فيه
لا تخف أن يزول حتى يزولا
واذا ما أظـل رأســـك هم
قصـر البحث فيـــه كيلا يطولا
أدركت كنهها طيـــور الروابى
فمن العـــار ان تظـل جهولا

ما تراها ــ والحقل ملك سواها ــ
تخذت فيه مســرحا ومقيـلا
تتغنى ، والصقر قد ملك الجو
عليها ، والصـــائدون السبيلا
تتغنى ، وقد رأت بعضها يؤ
خذ حيا ، والبعض يقضى قتيلا
تتغنى ، وعمـــرها بعض عام
أفتبـكى وقـد تعيش طويلا ؟

فهى فوق الغصون فى الفجر تتلو
ســور الوجـد والهوى ترتيـلا

وهي طورا على الثرى واقفات
تلقط الحب أو تجر الذيولا !

كلما أمسك الفصـــون سكون
صفقت للفصـــون حتى تميلا
فاذا ذهب الاصـــيل الروابى
وقفت فوقها تناجى الاصيـــلا
فاطلب اللهو مثلما تطلب الاطـ
ـيار عنـد الهجير ظلا ظليـلا
وتعلم حب الطبيعة منهـــا
واترك القـــال للورى والقيـــلا
فالذى يتقى العـــواذل يلقى
كل حين فى كل شخص عذولا

***

أنت للأرض أولا واخـــــيرا
كنت ملـكا ، أم كنت عبـدا ذليـلا
لا خلود تحت الســـماء لحى
فلمـــاذا تراود المســـتحيلا ؟

كل نجم الى الافول ، ولـكن
آفـة النجم أن يخـاف الافولا

وطن النجوم

وطن النجوم . . . أنا هنا
حـــدق أتذكر من أنا ؟
ألمحت فى المـــاضى البعيـ
ـد فتى غريرا أرعنـــا

جـــذلان يمرح فى حـــقو
لك كالنسيـــــم مدندنا
المقتـــــــنى الملوك ملـ
ـعبه وغـــــير المقتنى !

يتســـلق الاشـــجار لا
ضـــجرا يحس ولا ونى
ويعود بالاغصـــــان يبـ
ـريها سيوفا ، أو قنـا
ويخوض فى وحل الشـــتا
متهللا متيمنـــــا . . .

لا يتقى شـــر العيـــو
ن ولا يخاف الالســـنا
ولـكم تشـــيطن كى يقو
ل الناس عنه تشيطنا . . .
أنا ذلك الولـــــد الذى
دنيـــــاه كانت ههنـا !

انا من ميـــاهك قطـرة
فاضت جداول من ســـنا
أنا من ترابـــــك ذرة
ماجـــت مواكب من منى
أنا من طيـــــورك بلبل
غنى بمجـــــدك فاغتنى
حمـل الطـــلاقة والبشـا
شـــــة من ربوعك للدنى
كم عانقـــــت روحى ربا
ك وصـــفقت فى المنحنى !
للأرز يهـــــــزأ بالربا
ح وبالدهور وبالفنـــــا

للبحر ينشـره بنو
ك حضـارة وتمدنا
لليل فيك مصليـا
للصـبح فيك مؤذنا

للشـمس تبطىء فى ودا
ع ذراك كى لا تحـزنا
للبـدر فى نيسـان يكـ
ـحل بالضيـاء الاعينـا

فيـذوب فى حـدق المهى
سـحرا لطيفـا لينـا
للحقـل يرتجل الروا
ئع زنبقـا أو سـوسـنا !

للعشب أثقله النـدى
للغصـن اثقله الجنى
عاش الجمـال مشـردا
فى الارض ينشـد مسكنا

حتى انكشـفت له فألـ
ـقى رحله ، وتوطنـا !

واسـتعرض الفن الجبـا
ل فكنت أنت الاحسـنا

لله سـر فيك يا
لبنـان لم يعلن لنـا

خلق النجوم ، وخاف أن
تغوى العقـول وتفتنـا

فأعار ارزك مجـده
وجلاله كى تؤمنـا . . .

زعموا سـلوتك . . . ليتهم
نسـبوا الى الممكنـا
فالمرء قـد ينسى المسـ
ـيىء المفترى ، والمحسنـا
والخمر ، والحسناء ، والـ
ـوتر المرنح ، والغنـا
ومرارة الفقـر المـذل
بلى ، ولـذات الغنى
لـكنه مهما سـلا
هيهـات يسلو الموطنـا

ميخائيل نعيمة

وهناك فى قرية بسكنتا الوادعة المرتفعة على هضبات صنين آلافا من الاقدام فوق سطح البحر كان مولد شاعر آخر .. فاستقبلت الدنيا مولد شاعرين أبي‌ماضي ونعيمة فى عام واحد . وهناك فى المدرسة الروسية الابتدائية بتلك القرية الحالمة درس نعيمة علومه الابتدائية . وأظهر الفتى فى دروسه جدا وتفوقا أهلاه لان يحظى ببعثة الى مدرسة المعلمين الروسية بمدرسة الناصرة بفلسطين . وهنا اتسعت آفاق معرفته باللغة الروسية ، وزاد تضلعا فى الدراسات العربية ، ولقى من التفوق على الاقران فى الناصرة ما لقبه فى بسكنتا ،

فاستحق هذه المرة بعثة الى مدينة بولتافا من أعمال اقليم أوكرانيا الروسى ، وكان ذلك فى سنة ١٩٠٦ حيث التحق بمعهد « السمنار » هناك .

وقضى المترجم له فى بولتافا الروسية خمس سنوات حصل فى خلالها ألوانا من الآداب العالمية ، وتزود من الادب الروسى بزاد خصيب ، حتى برع فى الكتابة بالروسية والنظم فيها . وما قصيدته «النهر المتجمد» الا أثر من آثاره الفكرية باللغة الروسية ، نقلها بعد

حين الى لغة الضاد . ولم يعد نعيمة من الروسيا الى وطنه لبنان الا ليزمع الرحلة هذه المرة الى العالم الجديد البعيد ... وقد كان فى نيته الهجرة الى باريس مدينة العلم والنور ، ولكن أخاه ثناه عن عزمه واصطحبه معه الى الولايات المتحدة ، حيث درس الحقوق فى جامعة واشنطون ، وظفر باجازتها العلمية سنة ١٩١٦ .

ولم يشغله الطلب للعلم عن الكتابة الادبية النقدية فى مجلات أمريكا العربية ، وخاصة مجلة « الفنون » وجريدة « السائح » اللتين أصدرهما نسيب عريضة وعبد المسيح حداد على الولاء . ولما ماتت « الفنون » كانت « السائح » بوقا لنعيمة ورفاقه المجددين من مؤسسي « الرابطة القلمية » بنيويورك . ومن رفاق نعيمة نسيب عريضة وعبد المسيح حداد . وهما من زملائه فى مدرسة المعلمين الروسية فى الناصرة بفلسطين . وهنا جمع الله الاشتات بعد أن كانوا يظنون كل الظن أن لا تلاقيا ... وافتتح حياته النقدية الادبية بنقد رواية « الاجنحة المتكسرة » لجبران فى مقال عنوانه « فجر الامل بعد ليل اليأس » . وفى هذا النقد ظهرت بوادر ثورته على الجمود والتقليد فى اللغة العربية ، وكان هذا النقد سبيل تعرف المترجم له الى جبران خليل جبران . فانتقل الى نيويورك ، وهناك فى زحام هذه المدينة المدين لها شعر المهجر بالكثير من أسباب نهوضه ، تعرف الى أبي ماضي ورشيد أيوب وغيرهم من مؤسسي الرابطة القلمية التى كان جبران عميدها ونعيمة مستشارها ...

وفى سنة ١٩١٧ نركب أمريكا جيادها فى خلال الحرب العالمية الاولى ، وخاضت غمراتها . وكان نعيمة واحدا من آلاف الجنود الذين شملهم قانون التجنيد الامريكى ،

والقت به الاقدار الي الجبهة في فرنسا ، واتيح له بعد الحرب بعثة تعليمية في جامعة « ربن » الفرنسية ، فدرس تاريخ الآداب والفنون ، والتاريخ السياسي لفرنسا . وعاد الى الولايات المتحدة سنة ١٩١٩ ، وظل فيها ثلاثة عشر عاما غادرها الى لبنان سنة ١٩٣٢ ، ليعيش في ذرا صنين ، وفي أكناف بسكنتا الهادئة ، وفي ظلال الشخروب ، حيث مزرعة له ورثها من آبائه.

***

ويعد كتاب «الغربال» لنعيمة من كتب النقد الحديث التي لا يغفلها مؤرخ للأدب العربي المعاصر . فقد كان بعد كتاب « الديوان » للعقاد والمازني من الدعائم الاولى في النهضة النقدية الادبية المعاصرة . وقد كتب العقاد مقدمة طبعته الاولى سنة ١٩٢٣ فأثنى على أدباء المهجر وشعرائه الذين فكوا عن القرائح قيود التقليد ...

ومن كتب ميخائيل نعيمة : الآباء والبنون . والغربال ، والمراحل ، وكان ما كان . وديوان همس الجفون وفيه شعره العادي والمنثور . وزاد المعاد ، والبيادر ، وكرم على درب ، ولقاء . والاوثان ، وصوت العالم ، ومذكرات الارقش . وجبران خليل جبران ، الذي يعد بدعا في كتابة التراجم في الادب العربي ، وسبعون ، بأجزائه الثلاثة الضخام ، وهو سيرة صريحة رائعة لنعيمة . وله بالانجليزية كتاب « مرداد » الذي نقله هو نفسه الى العربية .

باقة من اشعاره

النهر المتجمد

يا نهر هل نضبت مياهك فانقطعت عن الخرير ؟
أم قد هرمت وخار عزمك فانثنيت عن المسير ؟
بالامس كنت مرنما بين الحدائق والزهور
تتلو على الدنيا وما فيها أحاديث الدهور
بالامس كنت تسير لا تخشى الموانع فى الطريق
واليوم قد هبطت عليك سـكينة اللحد العميـق
بالامس كنت اذا أيتـك باكيا سـليتنى
واليوم صرت اذا أتيتك ضـاحكا أبكيتنى
بالامس كنت اذا سمعت تنهدى وتوجعى
تبكى ، وها أبكى أنا وحدى ، ولا تبكى معى !

ما هذه الاكفان ؟ أم هذى قيود من جليد
قد كبلتك وذللتك بها يد البرد الشديد ؟
ها حولك الصفصاف لا ورق عليه ولا جمال
يجثو كئيبا كلمـا مرت به ريح الشـمال
والحور يندب فوق رأسـك ناثرا أغصـانه
لا يسرح الحســون فيه مرددا ألحانه
تأتيه أسراب من الغربان تنعق فى الفضـا
فـكأنها ترثى شبابا من حياتك قد مضى
وكأنها بنعيبها عنـد الصبـاح وفى المسـاء

جوف يشيع جسمك الصافى الى دار البقاء
لكن سينصرف الشتا ، وتعود أيام الربيع
فتفك جسمك من عقال مكنته يد الصقيع
وتكر موجتك النقية حره نحو البحار
حبلى بأسرار الدجى . بملى بأنوار النهار
وتعود تبسم اذ يلاطف وجهك الصافى النسيم
وتعود تسبح فى مياهك أنجم الليل البهيم
والبدر يبسط من سماه عليك سترا من لجين

والشمس تستر بالازاهر منكبيك العاريين
والحور ينسى ما اعتراه من المصائب والمحن
ويعود يشمخ أنفه ويميس مخضر الفنن
وتعود للصفصاف بعد الشيب أيام الشباب
فيغرد الحسون فوق غصونه بدل الغراب
قد كان لى يا نهر قلب ضاحك مثل المروج
حر كقلبك فيه أهواء وآمال تموج
قد كان يضحى غير ما يمسى ولا يشكو الملل
واليوم قد جمدت كوجهك فيه أمواج الامل ...

فتساوت الايام فيه : صباحها ومساؤها
وتوازنت فيه الحياة : نعيمها وشقاؤها
سيان فيه غدا الربيع مع الخريف أو الشتاء
سيان نوح البائسين ، وضحك أبناء الصفاء
نبذته ضوضاء الحياة فمال عنها وانفرد
وغدا جمادا لا يحن ولا يميل الى أحد
وغدا غريبا بين قوم كان قبلا منهم
وغدوت بين الناس لغزا فيه لغز مبهم ...

يا نهر ! ذا قلبى أراه كما أراك مكبلا
والفرق انك سوف تنشط من عقالك ، وهو .. لا

أخي ...

أخي ! ان ضج بعد الحرب غربي بأعماله
وقدس ذكر من ماتوا وعظم بطش أبطاله
فلا تهزج لمن سادوا ولا تشمت بمن دانا
بل اركع صامتا مثلي بقلب خاشع دام
لنبكي حظ موتانا

***

أخي ! ان عاد بعد الحرب جندي لاوطانه
وألقى جسمه المنهوك في أحضان خلانه
فلا تطلب اذا ما عدت للأوطان خلانا
لأن الجوع لم يترك لنا صحبا نناجيهم
سوى اشباح موتانا

***

أخي ان عاد يحرث ارضه الفلاح أو يزرع
ويبني بعد طول الهجر كوخا هده المدفع
فقد جفت سواقينا وهد الذل مأوانا
ولم يترك لنا الاعداء غرسا في أراضينا
سوى أجياف موتانا

***

أخي ! قد تم ما لو لم نشأه نحن ما تما
وقد عم البلاء ولو أردنا نحن ما عما
فلا تندب فأذن الغير لا تصغي لشكوانا
بل اتبعني لنحفر خندقا بالرفش والمعول
نواري فيه موتانا

***

أخي ! من نحن ؟ لا وطن ولا أهل ولا جار
اذا نمنا ، اذا قمنا ردانا الخزي والعار

لقد خمت بنا الدنيا كما خمت بمونانا
فهات الرفش واتبعني لنحفر خندقا آخر
نواري فيه أحيانا

ابتهالات

كحل اللهم عيني
بشعاع من ضياك
كي تراك ..
في جميع الخلق ! في دود القبور
في نسور الجو ، في موج البحار
في صهاريج البراري . في الزهور
في الكلا ، في التبر ، في رمل القفار
في قروح البرص ، في وجه السليم
في يد القاتل ، في نجع القتيل
في سرير العرس ، في نعش الفطيم
في يد المحسن ، في كف البخيل
في فؤاد الشيخ ، في روح الصغير
في ادعا العالم ، في جهل الجهول
في غنى المثرى ، وفي فقر الفقير
في قذى العاهر ، في طهر البتول
واذا ما ساورتها سكتة النوم العميق
فاغمض اللهم جفنيها الى آن تستفيق

***

وافتح اللهم أذني
كي تعي دوما نداك
من علاك ..
في ثغاء الشاة ، في زأر الاسود
في نعيق البوم . في نوح الحمام

فى خرير المـاء ، فى قصـف الرعود
فى هـدير البحـر ، فى مر الغمـام
فى غنـا البلبـل ، فى ندب الغراب
فى دبيب النمـل ، فى هب الرياح
فى طنين النحل ، فى زعق العقاب
فى صراخ الليل ، فى همس الصباح
فى بكا الاطفـال فى ضحك الـكهول
فى ابتهـــالات العراة الجـــائعين
فى انتحاب الناى ، فى دق الطبول
فى صلاة الملك والعبـــد السجين
واذا ما قرب الموت ووافاها الصمم
فاختمن ربى عليها ريثما تحيا الرمم

***

وليكن لى يا الهى
من لسانى شاهدان
صادقان ..

ان أفه بالحق فليشـــــهد معى
أو أفه بالبطــــل فليشـــهد على
واذا ما قام غـــــيرى يدعى
يا الهى الحق فى بطـــــل وغى
فليكن ســـيفا لســـانى حـــده
فى ســـبيل الحق ماض لا يهاب
لا يكف الضرب حتى ضـــــده
ينثنى عن غيه نحو الصـــواب
واذا ما خان نطقى قلـــــمى
فأراه البطـــــل فى الحق الصريح
فى كلام الغير ، فاجعـل من فمى
للســـانى أيهـا البـــارى ضريح

فلسان يعلن الحق وسرا يذبحه
ليت شعرى غير صمت الموت ماذا يصلحه ؟

***

واجعل اللهم قلبى
واحة تسقى القريب
والغريب ..

ماؤها الايمان أما غرسها
فالرجا والحب والصبر الطويل
جوها الاخلاص أما شمسها
فالوفا والصدق والحلم الجميل
فاذا ما راح فكرى عبثا
فى صحارى الشك يستجلى البقاء
مر منهوكا بقلبى فجثا
تائبا يمتص من قلبى الرجاء
واذا ما أملى يوما متى
تائها فى مهمه العيش السحيق
عاد لما كاد يقضى عطشا
يحتسى الايمان من قلبى الرقيق
واذا الايمان ولى والرجا أضحى ضرير
فلينم قلبى الى أن ينفخ البوق الاخير

الخير والشر

سمعت فى حلمى ويا للعجب
سمعت شيطانا يناجى ملاك
يقول : أى بل الف أى يا أخى
لولا جحيمى أين كانت سماك ؟

اليس انا بواماں استوى
سر البقا فينا . وسر الهلاك ؟

ألم نصغ من جوهر واحد
ان ينسنى الناس أتنسى أخاك ؟

***

فاطرق ابن النور مسرجعا
فى نفسه ذكرى زمان قديم
واغرورقت عيناه لما انحنى
مستغفرا . وعانق ابن الجحيم

وقال : اى بل الف اى يا أخى
من نارك الحرى أتانى النعيم ...

وحلق الاثنان جنبا الى
جنب ، وضاعا بين وشى السديم

الطمأنينة

سقف بيتى حديد ركن بيتى حجر
فاعصفى يا رياح وانتحب يا شجر
واسبحى يا غيوم واهطلى بالمطر
واقصفى يا رعود لست أخشى خطر
سقف بيتى حدبد ركن بيتى حجر
من سراجى الضئيل استمد البصر
كلما الليل طال والظلام انتشر
واذا الفجر مات والنهار انتحر
فاختفى يا نجوم وانطفىء يا قمر
من سراجى الضئيل أستمد البصر

باب قلبى حصـــين من صـــنوف الـكدر
فاهجمى يا همـــوم فى المســا والسحر
وازحـــفى يا نحوس بالشـــقا والضجر
وانزلى بالالـــوف يا خطوب البشـــر
باب قلبى حصـــين من صـــنوف الـكدر

***

وحليفى القضـــاء ورفيقى القـــدر
فاقدحى يا شـــرور حول قلبى الشـــرر
واحفـــرى يا منون حول بيتى الحفـــر
لست أخشى العـــذاب لسـت أخشى الضرر
وحليفى القضـــاء ورفيقى القـــدر ...

الى دودة

تدبين دب الوهن فى جسمى الفـانى
وأجرى حثيثـا خلف نعشى وأكفانى
فأجتـاز عمرى راكضـا متعثرا
بأنقاض آمالى وأشبـاح اشجانى

وأبنى قصورا من هباء وأشتكى
اذا عبثت كف الزمان ببنيـانى
ففى كل يوم لى حياة جديدة
وفى كل يوم سـكرة الموت تغشـانى

ولولا ضبـاب الشك يا دودة الثرى
لـكنت الاقى فى دبيبك ايمانى
فأترك أفـكارى تـذيع غرورها
وأترك أحـزانى تـكفن احـزانى

وازحف فى عيشى نظيرك جاهـلا
دواعى وجدى ، أو بواعث وجـدانى
ومستسـلما فى كل أمر وحالة
لحكمة ربى ، لا لاحكام انسان

***

فها أنت عميـاء يقودك مبصر
وامشى بصيرا فى مسالك عميان
لك الارض مهـد والسماء مظلة
ولى فيهما من ضيق فكرى سجنان
لئن ضـاقتا بى لم تضـيقا بحاجتى
ولـكن بجهـلى وادعائى بعرفانى
ففى داخلى ضـدان : قلب مسلم
وفـكر عنيد بالتساؤل أضـنانى
توهم أن الـكون سر ، وانه
ينال ببحث أو يبـاح ببرهان
فراح يجوب الارض والجو والسـما
يسائل عن قاص ويبحث عن دان
وكنت قصيـدا قبل ذلك كاملا
فضعضع مابى من معان وأوزان ...

***

وانت التى يستصـغر الـكل قدرها
ويحسبها بعض زيادة نقصـــان
تدبين فى حضن الحياة طليقـة
ولا هم يضـنيك بأسرار أكوان
فلا تسألين الارض من مد طولها
ولا الشمس من لظى حشاها بنيران
ولا الريح عن قصـد لها من هبوبها
ولا الوردة الحمراء عن لونها القـانى

وما انت فى عين الحياة ذميمة
وأصغر قدرا من نسور وعقبان
فلا التبر اغلى عندها من ترابها
ولا الماس أسنى من حجارة صوان
هل استبدلت يوما غرابا ببلبل
وهل أهملت دودا لتلهو بغزلان ؟
وهل أطلعت شمسا لتحرق عوسجا
ونملأ سطح الارض بالآس والبان ؟
لعمرك يا أختاه ما فى حياتنا
مراتب قدر أو تفاوت أثمان
مظاهرها فى الكون تبدو لناظر
كثيرة أشكال . عديدة ألوان
وأقنومها باق من البدء واحدا
تجلت بشهب أم تجلت بديدان
وما ناشد أسرارها ـ وهو كشفها ـ
سوى مشتر بالماء حرقة عطشان

نسيب عريضة

١٨٨٧ – ١٩٤٦

هذا الشاعر الهادىء العميق التفكير ، ظل فى صخب الحياة يفتش عن نفسه ، ويفتش عن الحقيقة حتى اضناه طول التفكير ، وأضناه فى « طريق الحيرة » المسير ... وظل هائما بالجمال والحب والمعرفة والاشواق الى العالم الروحى البعيد ؛ فما روى غلة ، ولا أشبع نهما :

صاح ! هل تعرف نبعا ان شربنا منه نروى ؟
صاح ! هل تعرف حسنا يشبع النفس فنهوى ؟
صاح ! هل تعرف لحنا فيه للأرواح سلوى ؟

وكان بين مولده فى مدينة حمص السورية ، ووفاته فى مدينة بروكلن الامريكية واحد وستون عاما قضاها فى صراع بين المادة والروح ، وفى كفاح بين الشك واليقين حتى لقى ربه فى أول أبريل سنة ١٩٤٦ مفتربا عن حمص « ذات الاحجار السود » التى كان يتحرق شوقا اليها ، ولعله لقى الجواب الذى كان يسأل عنه قائلا :

حنانيك أين الذهاب وأين مصير النفوس ؟
انجتاز هذا التراب لنبلغ سبل الشموس ؟

ولقد حير هـــــذا الشاعر أمر النفس ومصيرها ، والروح وتلبسها بالجسد ، فأسمى ديوانه « الارواح الحائرة » ... ويشاء الله أن يكون هـــــذا الديوان الحائر ، لهذه الروح الشاعرة الحائرة ، فى يد المجلد بالمطبعة عند ما لفظ الشاعر آخر أنفاسه ...

***

ولد نسيب عريضة فى حمص سنة ١٨٨٧ ، وتعلم فى المدرسة الروسية الابتدائية ، وفى مدرســـة المعلمين الروسية بالناصرة بفلسطين ، وكان من زملائه فى هذا المعهد ميخائيل نعيمة وعبد المسيح حداد ، وتفرقت بهم الســـبل فى الحيـــاة ، الى أن جمعتهم فى نيويورك فكانوا من دعائم « الرابطة القلمية » فيها ...

وكان نسيب أسبق من ميخائيل نعيمة فى الهجرة الى العالم الجديد ، فسافر ســـــنة ١٩٠٥ الى الولايات المتحدة ، وأقام بنيويورك مشتغلا فى المتاجر والمصانع للحصول على رزقه . وقد عناه طلب العيش وأثقل ظهره فلجأ الى الادب والشعر والـكتابة يجد فيهـــا تخفيفا لأوقار ظهره المنآد ... فأسس فى سنة ١٩١٢ مطبعة « الاتلانتيك » ، وفى ســـنة ١٩١٣ اشترك معه نظمى نسيم فى انشاء مجلة « الفنون » الادبية بنيويورك التى حملت مشعل التجديد الادبى فى العالم الجديد ، وكانت مسرحا لاقلام كثيرة ناشئة أخذت تحتل بعد أرفع مكان فى الادب العربى الحديث ، وكان يلتقى فيها هزل هؤلاء الرواد الادبيين بجدهم ، وأحلامهم بآلامهم ... وماتت مجلة « الفنون » فلم يمت قلب « نسيب » وراءها ، لأن عزيمته كانت اكبر من الموت ... وأعادها الى الحياة ثانية بمعونة بعض أصحابه سنة ١٩١٦ ، ولـكنها لم تعش هذه المرة غير عامين اثنين ، فأثرت وفاتها فى

نفس المترجم له ، كما اثرت فيه وفاة شقيقه «سابا» الذى اخترم الموت شبابه الغض فى أعقاب الحرب العالمية الاولى ...

***

وعاد نسيب الى الصراع الشاق فى سبيل الرزق من جديد ، ولكنه لما سئم عاد الي الكتابة والادب والشعر والتحرير ، فحرر فى « السائح » و « مرآة الغرب » و « الهدى » وهى أكبر الصحف اليومية العربية وأوسعها انتشارا فى العالم الجديد ...

وفى الحرب العالمية الثانية اشتغل نسيب عريضة بالتحرير والترجمة فى مكتب « الانباء الامريكى » وظل فيه حتى انتهت مهمته بانتهاء الحرب ، وهنا كان الداء قد الزمه الفراش ؛ فاعتزل الكتابة وهجر الشعر الذى طالما غنى أرق الالحان الصوفية علي خمائله الي أن توفى سنة ١٩٤٦ ...

باقة من أشعاره

مناجاة

لاحت قصـــور الخيال تعلـــو متون الغمـــام
يا أخت روحى تعـــالى أطلت فيهـــــا المقـــام

***

يا أخت روحى اسمعينى من أوج تلك الســماء
قــد كاد يقضى يقينى هلا أجبت النـــداء ؟
أراك لا تعـــــرفينى أزال عنى البهــــاء ؟
أجــل ! تغـــير كنهى مذ جئت أرض الشقاء
بدلت فيهـــــا جلالى بحلة من عظـــــام
يا أخت روحى تعالى قــد أضجرتنى الانام

***

أرنو بليــــل كئيب وطرف جســمى كليــل
أصغى ! ترى من مجيب أو من خيال جميــل
يلوح رجع ســـــناه فى طى غيم ثقيــل ؟
وكيف والجو قفـــــر بحار فيه الدليـــل ؟
يا ويح هـــذى الليالى أضحت لطرفى لثـام ؟
يا أخت روحى تعالى فالناس صرعى نيـام !

***

الناس ! من هم ؟ جسوم ضـاعت بهن النفـوس
ان يرقـــدوا فنعيـم رقـادهم فى البـؤس

وا حسرتا ! انا منهم ما دام جسمي اللبوس
نامـــوا ونعسي يقظي تهذي بذكر الشـموس
نرجو انتهـاء اعتقـالي لـكي تفض الخيـــام
يا أخت روحي تعالى نلقى اليك الخطـــام

***

كانت لها الشهب عرشا وكنتما في اقتـــراب
فأهبـطت فهي تخشي وتنزوي في الحجـاب
تظـــل غرثى وعطشي لقوتها والشـــراب
تقتـات بالصـوم حينا وترتوي بالســـراب
عافت ثدى المحـــال ينز منهـــا الاوام
يا أخت روحي تعالى قد حان عهـد الفطام

***

يا اخت روحي الحزينة الى متى ذا الصدود ؟
أو انت مثلي سجينة قد اثقلتـك القيـود ؟
مرضت في الارض يأسا ولا صـــديق يعود ؟
يا اخت روحي ! صبرا فالملتـــقى في الخلود
لاحت قصـــور الخيال كومضــــة في الظلام
اكلهن خـــــوالي ؟ ما من يرد السـلام ؟

أيا نجمة

أيا نجمة ســطعت في الظلام
انيري طريق فتى لا نـــام
فتى عذبتـــه النوى والهموم
فتى اثقلتـــه امور جســام
انيري طريقي خـــلال الرؤى
خـلال الشكوك ، خـلال السآم
لقـد طـال ليلي فهل من صبـاح ؟
وطال اضطرابي فهـل من سـلام ؟

• أيا نجمة في أعالي السماء
أطلت السكوت ، فهل من كلام ؟

على طريق أرم

تفتحت أعين الدرارى
واستيقظت أنفس الليالى
وهينمت في الدجى الامانى
ورفرفت أجنح الخيال
وأفلت الحلم من عقال
فطار يسعى الى الجمال
فقم بنا يا سمير نفسى
نقفو الامانى الى الكمال
قم نتخذ للمنى جناحا
يطير من عالم الحدود
عسى نرى في السماء دربا
نسير فيه ولا نعود
نؤم خدر الرؤى ونحظى
بما حرمناه في الوجود
قم واترك الجسم حيث يبلى
فالموت خير من الجمود

***

لى كل يوم هوى جديد
بلا وصال ولا لقاء
حولى مياه حلت وساغت
لكن قلبى بلا ارتواء
لو رمت يوما لكنت أجنى
من ثمر الحسن ما أشاء

لـكن هوى النفس فى خيال
قد لاح للروح فى السـماء
احن شـــوقا الى ديار
رأيت فيهـــا سنى الجمال
أهبطت منهـــا الى قرار
امست به الروح فى اعتقال

اهيم فى الليــل مثل أعمى
جاع ولا يحسن السـؤال
يهزنى فى الدجى حنـــين
الى الذى مر من وصال ..

***

هل من سبيل الى رجوع
هل من طريق الى وصول !
تهيـم نفسى ولسـت أدرى
بحاصـــــل أو بمسـتحيل
يا صاح قد حرت اين أمضى
والسبل ضلت عن الضـلول
فاسـتلمح البرق هل تراه
فانه أول الســـــــبيل
انظر فلى فى البروق سر
تعرفه النفس فى البـــروق
ألا ترى البـرق نار ركب
تقـــــدمونا على الطريق ؟

من الف دهـر والف دنيـا
سـموا الى المشرع الحقيقى
فسر بنـــا نقتفى خطـاهم
نصر الى منبت الشـــروق

أم الحجار السود

صـــور تلوح لخاطر المعمـود
ما بين أرباض المنى والبيـــد
خفـاقة فيهـا بنود العيـــد
بسـامة فيهـا ثغور الغيـــد
تجلو رؤى ماضى الهوى المفقـود

وقف الفؤاد أسير بارق نارها
يهفو الى ما لاح من أسرارها
لمن الديار نذوب من تذكارهـا
من بعد طول نوى وفرط جحود
يا موثقا من شـوقه بقيـود ؟

يا قلب ما هذا الخفوق وما ترى
فيما توهمه الخيال وصـــورا
تبكى كأنك بعض أفئدة الورى
وظننت أنك صرت صلب العود
أشجتك رؤيا يا أخا الجلمود ؟

رفعت لطرفك من مكان قاص
تختال بين حـــدائق وعراص
أعرفت يا قلبى عروس العاصى
مجبى أمانينا ، ومحيا الجود ؟
ونعيم أرض بالوجود سـعيد ؟

أعرفتهــا تلك الربوع العالية
ما بين لبنـان وبين البـادية ؟

الذكريات وقد برزن علانيـــة
نادين عنك بحسرة المطـرود :
يا حمص ! يا بلدي وأرض جدودي !

جثمت بكلكلها على درب الامم
جبـــاره من طبعها رعى الذمم
بلد الهدى أحجارها سود ؛ نعم
لله در ســـوادك المعبـــود !
يا حمص ، يا أم الحجار السود !

أنسيم وعرك ما سمعت مهينما
أم روح ديك الجن من خلف الحمى
أم شيخنا الجندى حن ورنما
متغـــزلا بمعاطف وقـــدود !
بيضاء فى ظل الحجار السود ؟

ماذا يكابد فى النوى ويقـاسى
صب يحن الى حمى الميمـاس
والى الدوير ، الى ربوع الـكاس
وكناســها ، وغزالهــا الاملود !
والى مغـانى نعمـة وســعود !

حمص العـــدية ، كلنا يهواك
يا كعبــة الابطـــال ان ثراك
غمــد لســيف الله فى مثواك
ولـكم لنا من خشعة وسجود
فى هيكل النجوى ومن تمجيد !

رشيد أيوب

١٨٧١ – ١٩٤١

يذكرني هذا الشاعر الباكي الشاكي بشاعرنا حافظ ابراهيم ، فان كل قصيدة من شعره هي أنغام من الاسى ، ونغمات من الشكوى الصاعدة من أعماق قلب حزين ، حتى أطلقوا عليه اسم « الشاعر الشاكي » . وقد كان ينفس عن الشكاة في شعره بالنكتة الحاضرة والفكاهة التي يرسلها في مجلسه . كما كان شاعر النيل حافظ ابراهيم في نكتته وفكاهته في مجالسه . ويشهد له الاستاذ ميخائيل نعيمة بذلك في قوله عنه وعن عبد المسيح حداد بأن كلا منهما خفيف الروح ، حاضر النكتة ، لطيف المعشر ، فكم أحالا العبوس في بعض الساعات الى حالات من الضحك ، وكم ساعة تدب ثوانيها في أصفاد من الهم والاسى جعلاها دقيقة ترفرف بأجنحة من الزهو والطرب (١) ... ولولا هذه الروح الخفيفة والنكتة الحاضرة عند أمثال رشيد أيوب وحافظ ابراهيم لكانت الحياة جحيما لا يطاق أواره ، ولا تحتمل ناره ...

ورشيد أيوب من السابقين الاولين الى الهجرة الى

---

(١) جبران خليل جبران : لميخائيل نعيمة ، ص ٢٢٤

العالم الجديد ، كما كان من السابقين الى تأسيس « الرابطة القلمية » فى نيويورك سنة ١٩٢٠ ، فهو من السبعة الكرام الذين شهدوا أول اجتماعاتها كما اسلفنا فى فصل سابق . وديوانه « الايوبيات » من اقدم ما نشر من شعر المهجر . فهو يعود الى عام ١٩١٦ . وديوانه « اغانى الدرويش » المطبوع بأمريكا سنة ١٩٢٨ اشترك جبران فى وضع رسومه وأطر صفحاته ، كما اشترك ميخائيل نعيمة فى كتابة مقدمته.

ولقد شهدت قرية بسكنتا ــ وطن نعيمة ــ مولد الشاعر رشيد أيوب سنة ١٨٧١ . كما شهدت مدرستها الصغيرة نضوج عقله . وفى سنة ١٨٨٩ رحل الى باريس وأقام فيها ثلاث سنوات ، ثم تركها الى مانشستر وأقام فيها نحوا من ذلك يشتغل بالصفق فى الاسواق تاجرا ووسيطا ومصدراً للبضائع ... ولكن الوطن دعاه فلباه ليمضى فيه ثلاثة أشهر فقط ، غادره بعدها الى امريكا حيث دعته الحياة من جديد ، وحيث دعته منيته ليدفن فى ثرى أمريكا ، وفى أحضان بروكلن فى ديسمبر سنة ١٩٤١ .

وعلى الرغم من اغراق رشيد أيوب فى ذكريات حزينة وتذكارات باكية ، وحنين الى فائت لا يعود ، ونواح على ماض يفضى الى حاضر مهموم ، فانه كان دائم التطلع والتشوف الى غد سعيد مرموق. ولعل ميخائيل نعيمة قد أنصفه حين قال عنه : « ان تكن فى شكواه مرارة الفشل ، ففيها كذلك حلاوة الامل ، وان تكن فى دمعته حرقة الاسى ، ففيها كذلك برودة التأسى » . ولهذا ليست شكاة رشيد أيوب مناحة على الحياة ، بل هى ادراك لسر الحياة ، وفهم للحياة على وجهها. فأوتار حزنه كأوتار فرحه يضربان على قيثارة الحياة ،

وينبعان من قلب الحياة ... ومن هنا يجد المحزونون فى شكوى رشيد أيوب سلوة لاحزانهم من هموم زمانهم. ولقد شارك رشيد فى حركة الشعر المنثور بمقطعات اهمها : الاعمى ، والشاعر ، والدرويش ، كما شارك فى الشعر الوطنى وشعر الحنين الى الاوطان ببضع من القصائد منها قصيدته « بلادى » التى يقول فى مطلعها :

خلقت ولكن كى أموت بها حبا
لذاك ترانى مستهاما بها صبا

وقد ترك الشاعر لنا ثلاثة دواوين هى «الايوبيات» و « اغانى الدرويش » و « هى الدنيا » الذى ظهر فى العالم الجديد سنة ١٩٣٩ .

لعل غدى

دموع بعينى لم تجمـــد
ونار بقلبى لم تخمـــد
فيا دمع هل أنت من لجة
ويا نار هل أنت من موقد ؟
أصلى لموسى ، واعبد عيسى
وأتلو السلام على احمـد
طلبت معينـا على الحادثات
فمر الزمان ولم أهتـــد
اذا ما تمشى بفكرى القريض
قرضت وصدرى عليه يدى
اقلب طرفى برحب الفضاء
وأمضى حزينا الى مرقدى
اقول وأمسى خان العهـود
ويومى كأمسى : لعل غدى !
فيا دهر ان أشك لا تغترر
فما أنا فى موقف المجتدى

الجندى والغدير

يا غديرا جاريا بين الحقـــول
فى سكون الليل ، ما هذا الخرير ؟

قل برب الخلق هل أنت رسـول
رنة الافـلاك فى أوج الاثير ؟
أم فؤاد الصب من بين الطلول
يبعث الشـوق انينـا وزفـير ؟
هل تقاسي وحشة الليل البهيم
وبنـات النعش فيه مؤنسـات ؟
مثـل صب كلما هب النسـيم
هاجه ذكرى الليالى المـاضيـات
أم كمشتـاق الى دار النعيـم
بعد ما قد مل من هذى الحياة
أنت تبكى مثل من يرعى العهود
أنت مثلى ما تلا الليل النهار !
بدموع مـا لها الدهر جمـود
كدموعى خلقت للانحدار . . .
انما أنت الى البـحر تعود
وأنا هيهـات عودى للديار . . .

فراشتى

ماذا تقول فراشـتى ان رفرفت عند الصباح
ورات محاسن روضتى أودت بها هوج الرياح .
فتنـاثرت أزهارها منهـا وفر هزارها ؟
ماذا تقـول اذا اتت من لم أجد عنها براح ؟
ورات كمنـجتى التى من كثر شوقى والنواح
قـد فجرتهـا نارهـا فتقطعت أوتارهـا ؟

***

يا ليت شعرى ما تقو ل اذا اتت ذات الوشاح
ودرت بـأن روايتى فى مسرح الغيد الملاح
قد اسبلت استارها وقد انتهت أدوارها ؟

غروب شمس الحياة

دنت المنيـة وانقضى عمرى
ونسيت ما قد كان من امرى !
غابت رســـوم فى مخيلتى
كادت تضىء كانجم زهـــر
وخبـــا فؤاد كان مشتعلا
بالحب مثل النار فى صـــدرى
ودوى نفسى الآن خارجـة
منى دوى الموج فى البحر
ماذا اذا رفع الحجاب غدا
القى وقد أصبحت فى القبر ؟

***

قد كنت حتى الامس مصطحبا
عزمى ، شعورى ، همتى ، لبى
ان قمت قام الحب فى أثرى
أو نمت نام الحب فى جنبى
واذا بكيت بكيت منتحبـا
واذا ضـــحكت ضحكت فى قلبى
فحسبت نفسى فى الهوى ملكا
قد توجتـــــه الاهة الحب
واليوم قد أصبحت منفردا
لم أدر كيف تفرقت صحبى !

***

انفقت هــذا العمر مكتئبا
وقطعت هذا العيش بالركض
ودرجت فى الدنيا على أمل
باق ولو غيبت فى الارض

ما ضر نفسي والحياة مضت
فالى حيـــاة غيرها تمضي
فالنفس من أخـلاقها أبدا
ابدال ذاوى الغصن بالغض
والعين ان طال السهاد بها
عند الضحى حنت الى الغمض

***

دنيـــا : وداعا ان نويت غدا
وتقطعت فى القبر أوصـــالى
وتساءلت عنى الطيور وقد
تاقت الى شـــدوى واعوالى
ورياضك الغنـــاء قد عجبت
منى بأنى مغرم ســــالى :
قولى بأنى قد رحلت الى
حيث الحمـــام يفك أغلالى
ولحقت آمالى فقد سبقت
قدما غروب الشمس آمالى ...

ألم ترنى ؟

الا ليت لى ما قد دعاه بنو الورى
حطـــاما فأعطى البائســـين وأنفح
ســـــــموح هو المرء المفرق ماله
ولـــكن من يعطى من القلب أسـمح
الم ترنى والدهر أصـمى حشـاشتى
أعلم ورقاء الحمى كيف تصـــــدح
اذا صـــلحت بالمـــال نفس فانها
باعطـــائها ممـــا لديهـــا لاصـــلح

فما المال الا – بعد موتك – بارح
وما الجود الا صنع ما ليس يبرح . . .

النفس الهاربة

ضربنا بقرب السواقى الخيام
وبتنا هناك بظل السلام
الى أن تجلى لنفسى الغرام

ففكت سلاسل اغلالها
والقت الى بأثقالها

تمشت الى الروض عند الصباح
يموج على منكبيها الوشاح
فأصغت الى هينمات الرياح

وسارت على درب آمالها
تمس النجوم بأذيالها

تغنت بلحن بعيد القرار
كهمس السواقى وشدو الهزار
فلما توارت وشط المزار

ترى هلْ خطرت على بالها
بدنيا الهموم وأهوالها ؟

الا اين كأسى وهاتوا الشمول
لأنعش قلبا عراه الذبول
الا ليت شعرى اما من رسول ؟

يذكر نفسى بأطلالها
وأن غناها بأقلالها ؟

جبران خليل جبران

١٨٨٣ – ١٩٣١

لو أجيب اقتراح الفتى بطرس – شقيق جبران – يوم ميلاد أخيه لكان اسمه الآن « عنتر » بدلا من جبران ! ولكن الشيخ خليل والد جبران يقهقه حين يسمع باسم عنتر يتدفق من شفة أخيه الصغير ، ويقول : جبران أحسن من عنتر .. جبران جد العائلة!

وهكذا طلع على الدنيا الكاتب النابغة جبران فى ليلة من ليالى ديسمبر سنة ١٨٨٣ ، وفى أحضان قصبة « بشرى » من أعمال لبنان .. ولعل ترجمة ميخائيل نعيمة لجبران هى أبدع ما فى كتب التراجم فى الادب العربى ، فقد صور فيها حياته وموته ، وفنه وادبه تصويرا حيا نابضا ، وصور لنا هذه الروح الادبية المفكرة التى اطلت على سماء الدنيا برهة ثم غابت الى حياة الذكريات . لقد تعلم جبران فى « مدرسة الحكمة » ببيروت – وهي مدرسة اخرجت شيوخا وعمالقة فى النهضة الفكرية – ثم رحل الى باريس فأقام فيها شهرا ، ومنها شد الرحال الى الولايات المتحدة ، فأقام فى مدينة بوسطن يشتغل بالكتابة والتصوير ، وقد كانت ريشته المصورة كريشته المعبرة ، تحلقان فى

سماء بعيدة من الخيال العميق .

وفى سنة ١٩٠٨ عاد الى باريس ليكمل الموهبة الفنية فيه ، فأقام فيها ثلاث سنوات حصل بعدها على اجازة عالية فى التصوير من معهد الفنون الجميلة ، وفاق بالسبق والتقدم مئات من المتقدمين معه لهذه الاجازة الرفيعة من شعوب شتى . وفى مدينة العلم والنور بفرنسا اتصل جبران بالنحات العالمى الجبار « رودان » وزاره فى محترفه ، فأخذ الفتى العربى ببساطة الفنان الفرنسى وعظمته ، وهيبته ووداعته ، وسمع منه حديثا عن الشاعر الفنان الانجليزى «وليام بليك» وكيف التقى فيه الشعر والتصوير ... ومن هنا فتن جبران بالشعر ، وتمنى لو اجتمع فيه الفنان والشاعر كما اجتمعا فى وليام بليك ...

وما خابت امنية جبران ، فقد التقى فيه الفن الجميل والشعر ، وان كان شاعرا تحرر من قيود الوزن والقافية الى أبعد الحدود . فانه يغلب على كتاباته وآثاره النثر الشعرى أو الشعر المنثور ، أما الشعر المقفى الموزون فقد كان الكاتب النابغة مقلا فيه ، ولكن له مع ذلك قصيدته « المواكب » التى اجتمع فيها شعره ورسمه ، فقد زينت قصائدها أو مقطعاتها بلوحات فنية تدل على عبقرية الفكر والفن عند هذا الكاتب العظيم .

ولم يصادف أديب عربى من الرواج والقبول عند القراء ما صادفه جبران ، فقد جذب أسلوبه الشائق وطريقته المبتكرة كثيرا من المتشوقين الى أدب جديد ، ولم يقل حظه فى مؤلفاته الانجليزية عنه فى كتبه العربية. فقد فتن الامريكيون بمؤلفاته وعلى رأسها « النبى » الذي بيع منه الى اليوم ٧٧٨٢٠٠ نسخة و « رمل

وزبد » الذى بيع منه ٣٢٩٠٠ نسخة ، و « التائه » الذى بيع منه ١٧٩٠٠ نسخة ، و « المجنون » الذى بيع منه ١٦٣٠٠ نسخة (١) ...

ولجبران الفضل كل الفضل فى تأسيس « الرابطة القلمية » بنيويورك ، فقد كان الروح التى تصـــل بين ارواح عمالها وأنصارها ، حتى اختاروه عميدا لها . ولا شك ان حركة التجديد فى الادب العربى ، وحركة الحملة على القديم ، وحركة التحرر من قيود الاساليب والوزن ــ بل التفكير نفسه ــ ســتظل مقترنة باسم جبران ، على مدى الآباد والازمان ...

ومات جبران مهاجرا فى أبريل سنة ١٩٣١ بأحـد مشافى نيويورك . وفى أغسطس من السنة نفسها نقل جثمانه الى لبنان ، حيث شيع فى موكب رهيب الى بلدته « بشرى » (٢) وهناك دفن فى ثرى الارض التى وهبته الى العالم الجديد ، ثم استردته الى أحضانها من جديد ...

---

(١) هذه الاحصاءات وصلت الى من الناشر « الفرو كنوف » بواسطه البروفسور ديتس سنميت

(٢) زرت هذه القرية اللبنانية الجميلة فى اغسطس سنة ١٩٥٤ لاطلع على مافى متحف جبران من غوالى الآثار

باقة من اشعاره

جبران خليل جبران

ماذا تقول الساقية ؟

سرت فى الوادى وقد جاء الصباح
معلنا سـر وجود لا يزول
فاذا ساقية بين البطاح
تتغنى وتنادى وتقول :

ما الحياة بالهناء انما العيش نزوع ومرام
ما الممات بالفناء انما الموت قنوط وسقام
ما الحكيم بالكلام بل بسر ينطوى تحت الكلام
ما العظيم بالمقام انما المجد لمن يأبى المقام
ما النبيل بالجدود كم نبيل كان من قتلى الجدود
ما الذليل بالقيود قد يكون القيد أسنى من عقود
ما النعيم بالثواب انما الجنة بالقلب السليم
ما الجحيم بالعذاب انما القلب الخلى كل الجحيم
ما العقار بالنضار كم شريد كان أغنى الاغنياء
ما الفقير بالحقير ثروة الدنيا رغيف ورداء
ما الجمال بالوجوه انما الحسن شعاع للقلوب
ما الكمال للنزيه رب فضل كان فى بعض الذنوب

هـذا ما قالته تلك الساقية
لصخور عن يمين ويسار

رب ما قالتـه تلك السـاقية
كان من آســرار هاتيك البحار

البلاد المحجوبة

هو ذا الفجر ! فقومى ننصـرف
عن ديار ما لنـا فيها صـديق
ما عسى يرجو نبـات يختلف
زهره عن كل ورد وشــقيق
وجــديد القلب أنى يأتلف
مع قلوب كل ما فيهـا عتيق ؟
هو ذا الصبح ينادى فاسمعى
وهلمى نقتفى خطــــواته
قد كفانا من مســاء يدعى
أن نور الصبح من آياته . . .

***

قد أقمنـا العمر فى واد تسير
بين ضـلعيه خيـالات الهموم
وشــهدنا اليـأس أسرابا تطير
فوق متنيــه كعقبان وبوم
وشربنـا السقم من ماء الغدير
وأكلنـا السم من فج الـكروم
ولبسنـا الصــبر ثوبا فالتهب
فغــدونا نتردى بالرماد
وافترشــناه وســادا فانقلب
عنـد ما نمنـا هشـيما وقتـاد

***

يا بلادا حجبت منــذ الازل !
كيف نرجوك ومن أى ســبيل ؟

أى قفر دونها أى جبـــــل
سورها العالى ومن منا الدليل ؟
أســـــــراب أنت أم أنت الامل
فى نفوس تتمنى المســـــتحيل ؟
أمنـــام يتهـــادى فى الفـلوب
فاذا ما استيقظت ولى المنـــام
أم غيوم طفن فى شـــمس الغروب
قبـل أن يغرقن فى بحـر الظـلام ؟

***

يا بلاد الفـكر يا مهـد الالى
عبـدوا الحق وصـلوا للجمـال
ما طلبنـــــاك بركب أو على
متن ســـفن أو بخيل ورجال
لست فى الشرق ولا الغرب ولا
فى جنوب الارض أو نحو الشمال
لست فى الجو ولا تحت البحار
لست فى الســهل ولا الوعر الحرج
أنت فى الارواح أنوار ونار
أنت فى صـــدرى فؤاد يختلج

مسعود سماحة

١٨٨٢ — ١٩٤٦

اذا كنا نقيم وزنا لشهادة أعلام البيان فى رجال البيان ، فان شهادة المغفور له الامير شكيب أرسلان فى شعر مسعود سماحة تعد تزكية أدبية رفيعة لها قيمتها فى تقدير هذا الشاعر المهجرى الكبير .

ويعترف الامير شكيب بأن الشاعر مسعود سماحة هو فى هذا العصر من فرسان الحلبة التى تمثل فحولة الشعر العربى ، ولا ترضى من اللغة الا بالنسج الذى كان لها فى أيام الجاهليين والمخضرمين . والحق أن شعر مسعود سماحة يحمل طابع القديم ويعود بالقارىء

الى أساليب الاولين ، كأن موجة التجديد الجارفة فى المهجر لم تأخذ صاحبنا فى تيارها ! وعلى الرغم من اقامته الطويلة فى أمريكا فانه لم يتأثر بانجاهات « الرابطة القلمية » فيها ، بل لم يكن — فيما يظهر من وثائق تكوينها — من عمالها ولا من أنصارها ، ولعل نزعة المحافظة قد باعدت بينه وبين التجديد فى عالم يموج بالجديد .

ولقد لقى سماحة من آلام الغربة الروحية والوطنية، وآلام الجهاد فى سبيل العيش ما انعكس فى كثير من

قصائده . ولما خانه الحظ فى حياة المتاجرة والصفق فى الاسواق عاد الى القلم يجد فى شباته منفسحا للتعبير عن آرائه فى صراحة وجرأة واخلاص لوطنه . ولما عاد الى لبنان سنة ١٩٢٥ زائرا لقى من حالة التعس فى بلاده ما أثار قديم أشجانه فنظم قصيدة مؤثرة يقول فيها :

مشت القرون وكل شعب قد مشى
معهـــا وقومك واقفون ونوم
لم ترتفع كف لصـــفعة غاشم
فيهم ، ولم ينطق بتهديد فم

***

ويتجلى شعر المناسبات واضحا وكثيرا فى ديوان مسعود سماحة ، حتى لا يكاد يخلو حفل اجتماعى أو وطنى فى أمريكا من قصيدة تنشد لهذا الشاعر ، فهو يستقبل عربيا وافدا الى أمريكا ، أو يودع راحلا ، أو يهنىء صديقا ، أو يداعب رفيقا . الا أن شعره الوطنى وقصائده الغزلية ومراثيه لكثير من الراحلين تدلنا على روح وطنيـــة عالية ، وعلى نفس رقيقة ، وعلى قلب وفى .

ولقد شهدت مدينة واشنطون كثيرا من نشاط هذا الشاعر الادبى والتجارى .. فقد آثرها على نيويورك ، وان كانت هذه الاخيرة هى التى أخرجت ديوانه الضخم الى عالم الوجود ، حيث طبع فى مطبعة جريدة «السمير» العربية التى يصدرها ايليا أبو ماضى .

ولد شاعرنا فى قرية دير القمر بلبنان سنة ١٨٨٢ ، وهاجر الى الولايات المتحدة غير مرة ، ولعله من أقدم المهاجرين اليها ، فقد كانت أولى رحلاته سنة ١٩٠٠ . وفى سنة ١٩٠٨ عاد الى لبنان حيث أنشأ فى سنة ١٩١٠ جريدة « دير القمر » مشتركا مع الاستاذ نعوم

افرام البستاني . وعاد الى أمريكا قبيل الحرب العالمية الاولى ـ سنة ١٩١٣ ـ مشتغلا بالتجارة ، الا أنها لم تصرفه عن رسالة الشعر الجميل ... ولقد قدرت الولايات المتحدة جهود الشاعر فأنعمت عليه ولاية كنتكى برتبة « كولونل » . وفى خلال الحرب الثانية اشتغل الشاعر محررا فى جريدة البيان النيويوركية التى أنشأها سنة ١٩١١ الاديبان سليمان بدور ، وعباس أبو شقرا ، الى أن أدركته المنية فى سنة ١٩٤٦ وهو عامل فى تحريرها . وللشاعر منظومات غنائية رقيقة فى الانجليزية ، وقد لحنت احدى شركات الموسيقى فى شيكاغو سنة ١٩١٨ أغنية له عنوانها : « عندما تكون أنت وأنا واحدا » .

باقة من اشعاره

محمود حسن [illegible]

اللـــــه ..

الملك ملــكك والبهـــــاء بهاكا
والارض أرضــك والسماء سماكا
الــكون مع ما فيه من متحرك
أو ســـــاكن قد كونته يداكا
نظمت أمكنة النجوم وســـيرها
والارض ، والقمرين ، والافلاكا
لا مسعف الاك ، لا متســـاهل
الاك ، لا متســــــلط الاكا

***

تهوى العروش وعرش مجــدك ثابت
وســـــواء ملــكك كل ملك فان
ســـلطان مجدك أنت فيه أول
لا رأى فيـــــما ترتئيه لثان
من بعض حسنك كل حسن فى الورى
والنور بعض بهاك والقمــــــران
لا العقــل يدرك كنه سرك ، لا ، ولا
تلقى جمالك مقلتا انسان . . .

***

والملحـــــــــدون وكلهم متجاهل
أو جاهل لا يقبـــــل البرهانا

قالوا الزمان هو الرقى وقولهم
يوهى الجحـــود ويدعم الايمانا
من اوجد الاســـماك فى أبحارها
من كون الاجســـام والانسانا ؟
من قيـــد الابحار فى قيعانها
من نظم الافـــلاك والاكوانا ؟

***

حارت عقول البـــاحثين وقصرت
وســـــواك كل عاجز ومقصر
لم يعثروا الا بما أوحيتــــــه
وأذعته لهم ، ولمـــا يعثروا
ما قصروا فى البحث . لـكن لم تشأ
رفع الحجاب عن المصون فقصروا
لو رمت كشف حجاب سرك للألى
بحثـــوا لأبصره الذى لا يبصر

***

رصدوا النجوم فلم تفتهم غاية
منها ، ولم يشكل عليهم أمرها
والـكيميـــا دانت لعلمهم ولم
يغمض عليهم حلـــوها أو مرها
قاســـوا البسيطة برها وبحورها
وعنا لهم قر الفصـــول وحرها
لـكن بعض سرائر حجبتهـــــا
طمست عقولهم وحلق سرها . . .

***

هـــــذا باطمار يطوف وغيره
بالفـــرو والخـــز الموشى يرفـــل
هذا قوى الجسم ، هذا واهن

هـذا بلا حول ، وهـذا أحول
هـذا فضولى ، وهـذا فاضل
هـذا نطـاسى ، وهـذا أخطل
سر جلالك صانه ، فعلى الورى
أن يذعنوا لعلاك . لا أن يسألوا

***

لك رحمـة فيهـا اليراع مقصر
وبيان أرباب الفصـاحة أعجم
لو رمت عدلا فى الخليقة ما بقى
فى الارض مخلوق به يجرى الدم
قالوا الخطاة المجرمون مصـيرهم
لجهنم ، وسـواك كل مجرم
حاشى لرحمتك العجيبة أن نرى
نفسا وأنت صنعتها تتألم . . .

***

ضل الغنى بماله ، ولو اهتدى
لرأى الغنى بازاء باب المحسن
أعطيتـه مالا فمجد ماله
لا مؤمن بالتبـر فيـك بمؤمن !
لم يدر أن المقتنى يفنى ونو
ر علاك وضـاح ويفنى المقتنى
والموت قد سـاوى الورى ففقـيرهم
يتجرع الـكأس العتيـدة كالغنى

لو ملـكت الدنى . . .

لو ملـكت الدنى سماء وأرضـا
لوضـعت الاكوان بين يديك !

ولقلدت جيدك الشمس والبد
ر وصفت النجوم فى قرطيك
وأخذت السواد من لمة الليـ
ـل وألقيته على فوديك
ولحكت الضباب ثوبا وبردا
ووضعت النسيم فى برديك !
وجعلت الورود حولك تنمو
واحمرار الورود فى خديك
ووضعت الجلال فوق محيا
ك ولمع البروق فى عينيك
وأخذت الجمال من روعة الفجـ
ـر وحولته الى صدغيك
وأخذت ابتسامة ابنة خمس
طابعا مثلها على شفتيك
ومزجت الرقى بطلسم سحر
ووضعت المزيج فى مقلتيك !
وجعلت السلام فرشا وثيرا
ورميت الهنا دثارا عليك !
ومددت الطريق درا وماسا
ووضعت الياقوت فى خفيك !
وتثنى الغصون ما بين جنبيـ
ـك وشكل السيوف فى حاجبيك !
ولألقيت ما ملكت ، وزندى
وفؤادى ، والروح فى راحتيك !
وفعلت الذى فعلت لعلى
أسعد النفس بالوصول اليك ...

محبوب الخوري الشرتوني

١٨٨٥ – ١٩٣١

لم تشهد سماء الولايات المتحدة نجم هذا الشاعر الا وهو على أبواب الافول فى مستشفى «مايو» الشهير بمقاطعة روتشستر سنة ١٩٣١ ، أما سماء المكسيك وأرضها ، واغوارها وانجادها فقد شهدت حياة هذا الشاعر مجاهداً فى سبيل الرزق ومشاركا فى رسالة الفكر والادب والصحافة العربية . وقد تقسم قلبه صراع بين المادة والعلم ، حتى استهوته التجارة فى بلاد المكسيك فجمع منها ثروة طائلة ، ولكن الدهر كان راصدا له فنكب فى ثرواته غير مرة ، بالحريق مرة ، وبالاغراق ثانية ، وبأيدى اللصوص ثالثة ... وفى المرة الاولى استقبل الحادث بقصيدته المشهورة التى قال فى مطلعها :

حلم جميل من ذهب   ما زارنى حتى ذهب !

وحياة هذا الشاعر سلسلة من ذلك الكفاح الطويل الذى يبدو لنا فى شعراء المهجر جميعا ، فهو ينتقل من التعليم فى لبنان ، الى الكتابة والشعر والتجارة فى المهجر الشمالى ، الى الصحافة التى اسهم فيها باصداره جريدة « الرفيق » العربية بعاصمة المكسيك سنة ١٩٢٥ . وليست « الرفيق » سوى واحدة من خمس عشرة صحيفة يصدرها العرب فى المكسيك

منذ سنة ١٩٠٥ الى زماننا هـذا . وكان المترجم له صحفيا بطبعه ونشأته فى ارض وطنه ، قبل أن يشارك فى الصحافة العربية فى المهجر ، فقـد تولى ــ قبـل هجرته الى أمريكا ــ رياسة تحرير صحيفة « لبنان » فى مدينة بعبدا اللبنانية ، وهى الجريدة التى أنشأها الـكاتب ابراهيم الاسود . وقد حولها المترجم له من صحيفة للأخبار الى معرض انيق للآثار الادبية والافكار.

أما حيـاته فى التـدريس فكانت نموذجا للمدرس الذى خلق بطبعه ليكون مدرسا ، ومن هنا فتحت له مدارس بيروت أبوابها ليؤدى فيها رسالة المعلم الناجح، فدرس فى المدرسة البطركية والمخلص والفرير والكلية اليسوعية ومدرسة الحكمة التى تلقى فيها العلم شابا ، بعد أن رضع لبان التعليم الابتدائى فى مدرسة الفرير ومدرسة « قرنة شهوان » .

ويغلب على محبوب الشرتونى شـعر المناسبات كما غلب على شعر مسعود سماحة ، وكأنهما كانا يمتحان من نبع واحد . فالشعر الوطنى والاجتماعى والغزلى وشعر المراثى والمناسبات هو طـابع الديوان العام ــ ذلك الديوان الذى ظهر مع ديوان مسعود سماحة فى عام ١٩٣٨ وطبع فى مطبعة جريدة السمير للشاعر ايليا أبى ماضى ، الذى كتب مقدمة كشف فيها عن شاعرية المترجم له وتأديته رســالة الشعر والادب فى بلاد سلخته فيها يد الزمان عن وطنه .

ولد محبوب فى قرية شرتون من أعمال قضاء الشوف بلبنان سنة ١٨٨٥، وكان الشعر يجرى فى دماء أسرته ، فأبوه شاعر فنان ، وجده كان امام الزجالين فى عصره ، وعلى الرغم من نزعته التقليدية المحافظة فى الشعر فانه يمثل لنا الشعر العربى المغترب فى بلاد المكسيك أصدق تمثيل

باقة من أشعاره

محسوب لجورج الشرتوني

حلم جميل من ذهب (*)

حلم جميـــل من ذهب ... ما زارنى حتى ذهـــب
امسيت ذا نشب وقد ... طلع الصباح ولا نشب
ذعر النيـــــام لصائح ... بالويل يصـــرخ والحرب
النار تمعن فى الحمى ... والناس تمعن فى الهرب
والريح تلعب باللهيــــ ... ـــب كأنه احدى اللعب
هجم السعير على المضا ... رب واللصوص على السلب
فوقفت أنظر ما الجحـ ... ـيم وما الابالس عن كثب
وحسبت أن الـكون أجـ ... ـمع قد تضعضع واضطرب
ونظـرت نظـرة ذاهـل ... أودى بحكمتـــه العجب
ثم التفت الى الورا ... ء وقست مرحلة الخبب
تلك الاباطح من جهـا ... د والبـواذخ من تعب

***

يا نفس لا تتـــوجعى ... أخذ المهيمن ما وهب
ذهب السعير من العما ... رة بالهشيم وبالخشب
ومن الحطـــــام براجع ... والجد يرجـع ما ذهب
ومن الـكتاب بكاغـــد ... ومن البراعة بالقصـــب
لا بالشباب ولا النشا ... ط ولا الذكاء ولا الادب
ويقيـــم ذكرى فى المحا ... فل حيث لا يصل اللهب
أنا فوق من كدس النضـا ... ر وان خسرت وان كسب
ان التفـــــاوت بالعلو ... م هو التفاوت فى الرتب

(*) نكب الشاعر بحريق خسر فيه كل ماجمعه من ثروة فى المهجر ، فنظم قصيدة منها هذه الابيات

محبوب الخوري الشرتوني

جمال الربيع (*)

هو ذا الكون في قشيب ردائه
والحلى ملء أرضه وسمائه
الحقول الخضراء ألقى عليها
باسط الارض مسحة من بهائه
وغمام السماء يبكى ولكن
تضحك الروض كلها من بكائه
ايه ما الطف الربيع وأبهى
زهره وهو مشرف من خبائه
كشباب الفتى أنيق ولكن
لهف نفسى على قليل بقائه

***

يا رواسى الربى انا ابن الروابى
وربيب الاشم في علبائه
ذكرينى بموطني وأريني
مثلا من جماله وروائه
شاعر عن مضارب الريف ولى
ناشد فيك راحة من عنائه
جاء يشكو الى رباك هجيرا
كهجير الحجاز في بطحائه
فامنحيه برودة ورفاها
وخذى من مديحه وثنائه
أيهذا القطار تسرع في الحقـ
ـل فدعنى أهيم في خضرائه

(*) يصف الشاعر رحلة في القطار من تمبيكو الى سان لويس في بلاد المكسيك

يذهب الطرف والخطى لمعـــات
فيرى ما أمامه من ورائه
أنت كالعمر ليس يمهـل حتى
يتملى الشـــباب من أشـيائه
ليتنى كنت فى الحيـاة هزارا
ناعم البـــال فى فسيح فضائه
مطلق الجانحين فيه بعيـــــدا
عن أذى المرء عن كثير جفـائه
ليس يلهيـــــه والحدائق ملآى
طلب القوت عن لذيذ غنـــائه
يرتدى من صنيـع باريه ثوبا
ما ارتداه ابن آدم فى رخـائه
خلق الله للتـــــــوجع منى
شـــاعرا غير باحث عن دوائه
هو فى الارض حيث كان غريب
ليس فى أهله ولا عشـــــرائه
كفراش الحقـــــول ما هو الا
ضائع القلب ، شـــارد الفكر ، تائه
روحه ترقب البعيــــد وتشكو
قلقـــــا فى عروقه ودمائه

الحمامة الضائعة (*)

أنابك خطب فلم ترجعى
أم الطير تنبو عن المرتع ؟

(*) كان الشاعر قبل مرضه يرى حمامة فى البكور تتنقل امام ناظريه على مرتفعات الاسطح ، فلما شفى لم يقف لها على اثر فنظم هذه الابيات .

أسى يا حمـامة فى جانحى
وحزن تغلغل فى الاضـلع
ولو لم يعذب جفونى السقام
لجللت ذكـــرك بالادمع
غداة تركت فراش الضنى
طلبتـك فى ذلك الموضـع

وساءلت عنك جهات الفضاء
فضاع السـؤال ولم ينفع
هو الفجر عودنى أن أراك
هنـاك على الحائط الارفع
فـكم طلع الفجر ثم انقضى
وعاد وعـدت فلم تطـلعى
لقـد كنت ذاك الانيس الاحب
اذا ما طفرت من المخدع

أمتع طرفى بنور الضـحى
وبالورد والحبـق الاضـوع
أجل ! كنت أبدع رسـم يلوح
لعينى فى المشـهد الأبدع
فكنت أرى فيك رمز الوفاء
ورمز الطهـارة فى المنزع
وأبصر فيك رسول السماء
يحدث عن قـدرة المبـدع

وقوفك فى شرفات السطوح
وقوف بشوقك أن تسجعى
كأنك فى أوجها شـاعر
أطـل على العالم الاوسـع
وكنت اذا ما شققت الفضاء
بجانحك الخافق الطيـع

تصــورت أنك طــير الخيال
يطــير بعيـــدا عن المجمع

***

اذا كنت فى قيد هــذى الحياة
تعـــالى الى وعيشى معى
فأنت هنالك رهن الخريف
اذا نقص الحب لم تشبعى
وليس هنـــالك أمن فان
رمتك يدا صـــائد تصرعى

الغنى والفقر

ليس الذليـــل هو الفقير بماله
ان الفقـــير بعقـــله لذليـــل
الشوك محتقر وفيه خضـــارة
والورد محتـــرم وفيه ذبول
هبط المسيح من السماء وما له
الا مغارة « بيت لحم » مقيل
واتى الحيـــاة محمـد لا أمه
بنت الامير ، ولا أبوه نبيـــل

قالوا : تحب العرب ؟

قالوا : تحب العرب ؟.. قلت : أحبهم
يقضى الجوار على والارحـــــام
قالوا : لقد بخلوا عليك ، أجبتهم
اهـــلى وان بخلوا على كرام

قالوا : **الديانة ، قلت : جيل زائل**
ويزول معه حزازة وخصـــام
ومحمـــد بطـــل البرية كلهـــا
هو للأعارب أجمعـــــين امام
قالوا : البداوة ، قلت : أطهر عنصر
صفت النفوس هناك والاجســـام
الاريحية والشـــهامة والنـــدى
فى الارض حيث أيانق وخيام . . .
قالوا : الشآم ، فقلت : رؤية وجهها
كنز ، ولثم ترابهـــا انعام
وطن لنـــا ذكراه نفحة عنبر
وحديث عودتنـــا اليه مدام . . .
أرض المهـــاجر نحن فى جنبـــاتها
ريح تســـير لغـــاية وغمـــام
واذا تمر بقرية عصـــفورة
فعلى الســـطوح وقوفهـــا الممام
نســـمات واديها ، وعزلة عشـــها
ومروجهـــا ، وســـماؤها أحلام !

أحمد زكى أبو شادى

١٨٩٢ ـ ١٩٥٥

ان كل بقعة من الارض حل فيها الدكتور أبوشادى كان يخلع عليها من حيويتـه الدافقة ونشـاطه الذى لا يهدأ حلة تبرز فيها آثاره ومعالمه ... ولو أن للديار ألسنة ـ كما للناس ألسن ـ لنطقت بقاع من مشرق الارض الى مغربها بجهود أبى شـادى فيها ... لقد حل فى انجلترا طالبا للعلم من سنة ١٩١٢ الى سـنة ١٩٢٢ فظفر باجازة الطب ، ونال جائزة « وب » فى علم البكتريولوجيا ، وأسس جمعية النيل فى لندن ، وساهم فى تأسيس معهد النحالة الدولى سنة ١٩١٩ ، واشتغل بالتصوير ليجمع فى يده بين ريشة المصور وقلم المعبر .

وحل أبو شادى فى الولايات المتحدة مهاجرا من سنة ١٩٤٦ الى أن توفى سـنة ١٩٥٥ فمضى فى كهولته كما كان ماضيا فى شبابه ، فكتب فى الصحف العربية وغير العربية ، وجلجل صوته فى اذاعة « صـوت أمريكا » مرتين كل أسـبوع ، واختير عضوا بمجلس الرابطـة الدولية لحقوق الانسـان ، ودعته الهيئـات الامريكية والمؤسسات الثقافية ليحاضر فى الادب العربى، وأسس

بأمريكا رابطة « منيرفا » الشعرية الادبية على نحو ما صنع فى وطنه مصر حينما أسس « جماعة أبولو » وأنشأ لها مجلة « أبولو » تنطق باسمها وتدعو لاهدافها سنة ١٩٣٢ .

وظل الدكتور أبو شادى فى حاضره المكتهل ، كما كان فى أفانين الشباب بأمسه ، وظل فى مهجره كما كان فى وطنه ، وكما كان قبل ذينك فى مفتربه بانجلترا ، ينظم الشعر ، ويرسل الاحاديث على أمواج الاثير ، ويلقى الخطب فى المحافل ، ويكب على ريشته وألوانه ، ويمضى فى موكب الحياة لم تفل الايام من حد عزمه ، ولم يحطم الزمان وترا من معزفه ، فقد نشر بالامس القريب فى أمريكا ديوانه « من السماء » سنة ١٩٤٩ ، واحتفلت جمعية الشعر الامريكى بتكريمه بمناسبة ظهور هذا الديوان فى سنة ١٩٥٠ . والتقى فى الحفل رجال من الشرق والغرب ، ومن العالمين القديم والجديد ليكرموا شاعرا مجاهدا عربيا .

وفى روضة الشعر العربى فى المهجر نجد هذه الدوحة المصرية الباسقة من بين دوحات وزهرات لبنانية وسورية ، واذا كنا وقفنا على أسباب الهجرة الى العالم الجديد عند السوريين واللبنانيين ، فان هجرة شاعر مصرى ـ وحده ـ الى أمريكا تعد حدثا أدبيا يستحق الاهتمام . ويحدثنا أبو شادى نفسه عن أسباب هجرته مع تمتعه فى مصر بمركز علمى ممتاز فى جامعة الاسكندرية ، فقد شعر ـ كما يقول ـ بأن الرجعيين والناقمين بدأوا يعرقلون جهوده ، ويسعون لمطاردته فى عمله الحكومى ، وبدأ الناشرون يرضون الرجعيين بالاعراض عن نشر كتبه ، واحس بالغبن الذى لحقه فى عمله بالجامعة والاضطهاد الذى يلازمه ، وكاد

الهم والمرض يبخعان نفسه فلم يجد غير أمريكا ملاذا ومهربا ، فركب اليها البحر فى أبريل سنة ١٩٤٦ ، وبقى بها الى آن نادته منيته هناك فى شهر أبريل سنة ١٩٥٥ .

وكان آخر ما لقيه أبو شادى من الاحزان فى مصر هو موت زوجته قبيل رحلته الى العالم الجديد سنة ١٩٤٦ ، فرثاها بقصيدة مؤثرة يقول فيها :

أسديت عمرك للحياة فما وفت
ومضيت للابرار والشهداء
لهفى عليك وقد أتيت مودعا
فبكيت فوق جبينك الوضاء
زاد الممات جماله وتناثرت
منى الدموع عليك كالانداء

ان القيثارة التى وقع عليها أبو شادى كانت غنية بأخصب الالحان ، وقد ألهمته أمريكا ديوانين مخطوطين هما ديوان « الانسان الجديد » وفيه نفحات من الشعر الوطنى وشعر الحرية التى ذاق حلاوة طعمها فى أمريكا وكانت دائما منى نفسه . وديوان « النيروز الحر » وفيه القصائد التى نظمها فى أمريكا من سنة ١٩٥٢ الى يومنا هذا .

ولعل ديوان « من السماء » هو أصدق مرآة للتطور فى شعر أبى شادى قبل هجرته الى أمريكا وبعدها بثلاث سنوات . ولعل الديوانين المخطوطين يكونان أكثر صدقا لانهما يغطيان من عمر الشاعر فى مهجره سنوات أطول.

ولم يستطع أبو شادى – على الرغم من نزعته التجديدية البعيدة ، وعلى الرغم من وجوده فى جو المهجر الامريكى الجديد – أن ينسلخ جملة من شعر المناسبات الطارئة ، والحفلات العارضة . فله قصائد

ى ذكرى المهرجان اللبنـــانى الذى أقيم فى ترتنون نيو جرزى سنه ١٩٤٦ ، وفى تحية صحيفة « الهـدى » العربيـــة النيويوركية بعيــدها الخمسينى ، وفى مدح حسنى الزعيم ، كما أن له مرانى للشـــاعر نسيب عريضه ، وعبد المنعم رياض ، وخليل مطران .

لقد كانت جوانب الدكتور زكى أبى شادى متعددة فى الحياة ، فكان طبيبا وبكتريولوجيا ونحالا ورســاما وأديبا وشاعرا . وقد تعددت دواوينــه المطبوعة كما تعددت جوانب حيـــــــاته . فله « أنداء الفجر » و « الشفق الباكى » و « الينبوع » و « الشـعلة » و « أشعة وظلال » و « فوق العباب » و « أطياف الربيــع » و « عودة الراعى » و « من السـماء » وغيرها ، وله من المؤلفات العلمية والادبيـــة غير ذلك كثير . ونشاطه فى الصحافة الادبية الراقية تشهد به مجلات : أبولو ، والامام ، وأدبى ، ومملكة النحل .

الحق ان مصر كانت أولى أن تضن بأبى شادى أن يخرج منها ، أو يرحل عنها . ولـكن أمريكا استقبلته ــ كما استقبلت شعراء المهجر من قبله ــ وقابله هناك اخوانه العرب فى مهجرهم بهذه الروح التى تبدو فيما كتبه الاديب المهجرى الـكبير الاســتاذ عبد المســيح حداد قائلا : « ونحن أدباء المغترب الامريكى قد وجدنا به الاخ الحبيب ، بل العليم اللبيب ، الذى أحسن ردنا عن سبيل الفناء الادبى ، الى سبيل اعادة الحياة لادب العرب ، فى هذا المغترب » .

لقد كان أبو شادى يفجأ الناس دائما بحياة جديدة فى ميدان جديد من ميادين العمل المتعددة ، فشاء الله ان يفجاه الموت فى مغتربه بواشنطن يوم ١٣ أبريل سنة ١٩٥٥ .

باقة من أشعاره

نيويورك

نسيت الجنان وسكانها ... ومن ألهموا الشعر أيمانها
وآثرت عاصمة للكفاح ... وقد زانها منه ما زانها
كفاح التنافس فى الخالدات ... تخذن الشوامخ عنوانها
وقدسن مسترسلا فى الطموح ... أجاد ، وأعلين انسانها
تلألأ فيها ضمير الوجود ... وان سود الدهر جدرانها
تلألأ فيها مكان الخشوع ... وان زعموا المال ديانها
وللعلم فيها حياة الجموع ... وان حسبوا اللهو ميزانها
وللطب آباته فى سطوع ... تضاعف بالشيب شبانها
وللفن منزلة فى الذيوع ... كأن الهواء الذى صانها
وللهو غايته فى الشيوع ... ولكن ليسعد سكانها
سمت بمتاحفها الغاليات ... قرونا تكرر أقرانها
وشتى معابدها الحاليات ... ترتل للسلم ألحانها
وابقى معاهدها المعجزات ... جعلن الحقيقة أوطانها
وأقوى معاملها الخالقات ... غرائب جاوزن حسبانها
وأزهى مسارحها الفاتنات ... بهرن الفنون وفنانها
سعدت بها رغم هذا الكفاح ... ولولاه كنت كمن خانها
فأصبحت عاشقها المستعز ... بها والمرتل فرقانها
اغنى لها صلوات الشكور ... رأى فى المصاعب احسانها
وأمشي على الطرق الصاخبات ... فخورا أنافس سلطانها
وأهوى حدائقها الحالمات ... قصائد زين ديوانها

كأن السناجيب أطفالها جعلن الاراجيح أغصانها
كأن الفرانيت فى أرضها صوامع حجبن رهبانها
معابد لا معبد للجمال يمس المطوف أركانها
ومن حولها العشب جم الر فيف يجاوب بالعطف تحنانها
كأن الازاهر يقظانة ملائك تحرس كثبانها
كأن الجنادب فى شدوها ندامى تسامر ندمانها
كأن الطيور بتغريدها تلقن للشعر أوزانها
كأن الاشعة رسل الطبيعة تحمل للنبت الوانها
وتضفى على الصخر تحنانها وتلقى على الماء نشوانها
أطوف بها لاهيا ضاحكا كأنى منتهب حانها
وان كان صفوى الذى لا يمل عبادة من عز أوثانها
ومن للوحوش بأقفاصها رأى اخوة أسعدوا شأنها
فما زارت مرة فى شجى ولا عرف الهم خرسانها
وماشمخت ناطحات السحا ب على السفن تمخر خلجانها
وان سكنت فوق قطر تسير شياطين نافسن شيطانها
تسير بجوف الثرى كالبروق وقد تتجاوز امكانها
حياة تكرر فيها الحياة وهيهات نقدر أثمانها
وعمر تجاوز عمر السنين ودين تشرب أديانها

ربيع الحر

ربيع الحر اشرق يا ربيعى
وثب فرحا مع الحمل الوديع
ولا تحجب حياء كالعذارى
سناءك أو صلاتك عن سميع
لقد نم الاريج عليك لما
أريق شفاعة الحب الصريع
ونم عليك همس من غصون

ووسوسة البراعم فى خشوع
وسفسفة الغرام تذوب لحنا
بأمواج الضياء على الزروع
وآمال السلام وقد تراءت
نجوما فى السماء وفى الربوع
وتحنان الجماد لكل حى
يرف بلهفة الطفل الرضيع
وأنداء الصباح مضمخات
بعطر الحسن فى نسق بديع
وآلاف الروائع سافرات
وان خفيت عن الحسن الوضيع
يفيض الجو سحرا عبقريا
تفرد بالاصالة والنزوع
كأن جميع آلهة المعانى
حبته كنوزهن على الشيوع
كأن الكون يخفق فى حبور
خفوق الشعر فى الروح الرفيع
تقدس كل شىء فى عيونى
وقد ران الجمال على الجميع
فكيف اذا سفرت لنا فتيا
بثوب العرس تخطر فى الجموع ؟
وكيف اذا الاناشيد الغوالى
أغثن الروح من ظمأ وجوع ؟
ولقن العبادة كل قلب
واطلعن الشموس من الشموع ؟

***

ربيع الحر اشرق يا ربيعى
وثب فرحا مع الحمل الوديع

كلانا كان فى عنت وضيــــق
يعـــانى الاسر فى سـجن منيـع
وكنت معذبا شـــــاهت نهاه
وكنت ضحية القـدر الفظيع ...
فعدنا اليوم يجمعنـــــا اخاء
وأرض لم تسخر للرقيع ...

من وحى الخريف

وافى الخريف فوافت للنـدى صــور
من الجمــــال على عشب واوراق
كأنما أودع العشــــــاق أنفسهم
بها ، فما كشـــفت يوما لاحـداق
تلألأ الحب فيهـــا وهى باســمة
تبسم السحر فى ألحاظ عشــــاق
ما للعناكب قد فازت بحيلتهــــا
وللحشائش قد رفت بأشـــــواقى
ولم أزل فى ظمــــائى غير مدكر
وما يبـالى النـدى همى واخفـاقى
ان داعبتها خيوط الشمس راقصة
ذابت نضارا حيـــال اللؤلؤ الباقى
ولم يعد من مرائيها ســــوى حلم
كأنما غيرتها فتنـــــــــة الراقى
غاب النـــدى ونسيم الصبح يعلنه
سرا أبيـح لوجـد الشـاعر الشـاكى
تدرى العناكب ما يروى كما فهمت
كل الطبيعة هـــذا الصامت الحاكى

فان بكت بدموع للنـــــدى ذرفت
فقبلهـــا ذرفت فى خاطرى البـاكي
كم للنسيم رســـــالات منوعة
يشجى الوجود لها أضـعاف ادراكي
كأنما هى ألغــــاز ووســـوســـة
على حروب ، وحينـا همس نسـاك

تعنو الغصون صــــلاة فى تجاوبها
وفى تبتلهـــــــــا تودى بأشراكى
فما أرى غير دنيـــا الحب ماثلة
فيمـــا أرى بين انداء وافـــلاك

الالوهة والكون

كل شيء فى الـكون سحر عجيب
والغريب القصى فيـــه قريب
يجهد العلم باحثـــا بينما وفـ
ـق من قبـل واحتـواه الاديب
هكذا كل ذرة من كيـــانى
تحتوى العالم العظيم الشـــان
أنا فان وفى المـدى غـير فان
وكيانى هـــذا الوجود الرحيب

والاله العظيم هـــذا الضـــياء
ومعانيــــه أجملتهـــا الســـماء
لا ابتـــداء له وليس انتهاء
أو شروق لوحيـــه أو غروب
كل شيء من حولنـــا يتحول
ولو ان الخلود طبـع مؤصـــل

سـوف نحيا على ضروب تشكل
بينما الاصـل واحـد والضروب
لبنـــات الوجود موج يدور
قد تجلى به الاله القـــدير
والجمـــال الذى به نستنير
غاية للوجود لا تســـتريب
هو فن ثوى به الفنـــان
هو كون أرواحـــه الابدان
هو معنى ما فاته الامعـــان
وتنـاهى اليه شـــعر حبيب
ما ابتهـالى الا ابتهـال لنفسى
فأنا ملهم جنـــانى وحسى
وحنـــانى الى الاله وقبسى
من سـناه استجابة لا تخيب

الصعود

أسـفا ، أعود الى السما ء كما أتيت بنبع فنى
لم ألق فى دنيا الانا م سوى المهازل والتجنى
دنيـا تقوم على الدما ء وبالدماء هوى تغنى
وتدور طاحنـــة عقو ل النابهين ، وأى طحن !

ويسوسـها البلهـاء من غبن تعانيـــه لغبن
ومن الخـراب يهزها هزا الى ضغن وضغن
الارض كم شقيت بهم كشـــقاء موتور بأين

وهبت لهم أسنى الكنو ز فـكافأوها بالتـدنى
صلبوا المسيح وشردوا الـ أحـرار بين الخافقـين
وحيـاتهم نقض الحيـا ة تسام فى شك ومين

كم أولعوا بالهدم وال‍ـ ـهدام لا يسمو ليبنى
ولو انهم عقلوا جنـوا من نارهم جنات عدن
فالى السماء أعود لم يفن التـــأنى والتمنى
فحروبهـا أجـدى وأو فى للحيـــاة وكل فن
وســـــلامها ابقى وأنـ ـقى للوجـود المطمئـــن
ان تعتبـر منفـاى فا لمنفى أبر اذن بذهنى
ولعل امى الارض فى الـ ـحالين فى ذهنى وعيـنى

الفصل الثانى

شعراء المهجر الجنوبي

الياس فرحات

١٨٩٣

ان الشاعر الياس فرحات بين شعراء المهجرين الشمالى والجنوبى هو أقلهم نظما فى شعر المناسبات ،

وأين من مناسباته القليلة المعدودة مناسبات الشاعرين محبوب الشرتونى ، ومسعود سماحة من شعراء أمريكا الشمالية ؟ أو مناسبات الشاعر الفحل رشيد سليم خورى ـ الشاعر القروى ـ التى ملأ بها أكثر من مائة وثمانين صفحة فى باب « المحافل والمجالس » فى ديوانه الضخم الكبير ؟

لقد أقل فرحات من المدح وشعر الحفلات والمواسم والمجالس والمراثى والمفاخرات ، واتجه بكل قلبه الى الشعر الخالص ، ولم ينظم فى المناسبة العامة الا اذا هزته هزا عنيفا . على أن هذا الشعر الصافى الحر لم يخل من خطرات الحكمة والمثل يرسلها الشاعر فى خلال القصيدة . وتكثر هذه الظاهرة فى شعر فرحات كثرة تذكرنا بالحكم والامثال فى شعر المتنبى .

واذا كان بين فرحات وبين المتنبى مشابه من المثل السائر والحكمة المرسلة ، فان بينه وبين زهير بن أبى سلمى مشابه من حيث تنقيح شعره ونخله قبل

نشره .. فقد أسقط من شعره ضعفى ما أثبته فى ديوانه المطبوع فى سان باولو سنة ١٩٣٢ . ولكنه لايزال الى اليوم — على كبره من السن جاوزت السبعين — يغنى أرق ألحانه ، فلم يجف الوتر الصافى اللين الذى فى لهاته ... فله فى مجلة « الشرق » البرازيلية العربية الانيقة قصيدة فى عدد يناير سنة ١٩٥٤ يقول فيها :

فر عصفور شبابى من يديا
تاركا فى مهجتى جمرا ذكيا
طالما أوحى ففنيت على
مسمع الليل نشيدا عبقريا
كان أن أطلقته فى جنة
يلثم الزهر ويرتد اليا ...

***

الفراشات اختفت مذ جف ما
كان فى روض الصبا غضا طريا
والظباء البيض ظمأى نفرت
خيفة أن لا ترى عندى ريا
يا فراشات الامانى ارجعى
ترجعى لليائس العيش الرخيا !

وقد يرجع المهاجر الغريب الى وطنه ، ويؤوب الى ارضه كل نازح ، ولكن الصبا الغض وفراشاته الحالمة لن ترجع ! ..

ولقد علمت الحياة الياس فرحات بدروسها وتجاربها اكثر مما علمته المدارس القليلة الضئيلة التى تعلم فيها المبادىء الضرورية من القراءة والكتابة ... فهو الوحيد بين شعراء المهجر الذى لم يتلق دراسة مدرسية منظمة متصلة ، فقد ترك مدرسة موطنه كفر شيما الى مدرسة الشويفات حيث أقام فيها سبعة أيام ، ومن

هناك انتقل الى مدرسة فى وادى شحرور لم يقم فيها الا شـهرا واحدا! ودع بعده المدارس والتعلم وجرس المدارس المطرب فى السراح ولـكنه اذا جد غير مطرب ، كما قال شوقى !

غادر فرحات وطنه سنة ١٩١٠ مهاجرا الى البرازيل ملتمسا الرزق طالبا العيش ـ كما هاجر اخوان له من قبل ـ فلقى من العنت والـكفاح ومرارة الصراع فى الحياة ما لم يتغلب على روحه الشـاعرة ، بل أحالها الى نغمـة مؤثرة معبرة فى الادب العربى الحديث . وقصيدته « حياة مشقات » تصور لنا فى تعبير بليـغ قوى قصـة ذلك الـكفاح المر الذى لقيـه الشاعر فى المهجر ... فقـد كان يستقطر ماء الرزق من صخرة قاسية ماشيا بين الفيافى والمروج الفسـاح ، أو راكبا عجلة تسير على الصخور الصلد ، وترقص فوق نواتىء الحصا فتكاد ترمى براكبيها الى الارض ... وقد كان يقضى الليل فى أكواخ خلت من أهلها ، وقام البوم عليها نادبا باكيا ، والنجوم تطل من سـقوفها المثقوبة وجدرانها المفككة الاوصال . وهنـاك فى غمرة الصراع الاليم فى الحياة لم ينس فرحات وطنه لبنان ، ولا قريته الصغيرة اللبنانية « كفر شـيما » التى انجبت للأدب العربى آل اليازجى اللغويين ، وآل شـميل المفكرين ، وآل تقلا الصحفيين الذين تشهد «الاهرام» فى مصر بعبقريتهم الصحفية . فكان من أجمـل هدايا كفر شيما للشعر العربى أن انجبت اليـاس فرحات ليحمل هو والشـاعر القروى ـ ابن البربارة ـ راية الشعر فى أمريكا الجنوبية ...

وفى سنة ١٩١٦ ـ وبعد بضع سنين من الهجرة ـ لم يكن الياس فرحات فى روضة الشعر العربى فى المهجر

الجنوبى الا نباتا غضا ضئيل الورق نحيل الساق، فاذا به بعد ذلك دوحة باسقة او طائر غرد قوى الجناح بعيد التحليق يسمعنا ارق الالحان فى عبارة بليغة ، وقافية متمكنة رصينة غير قلقة ولا نابية ، وفى نسج محكم مسرود ، مع انه غادر لبنان غلاما ينظم الزجل العامي ، ويقرأ الميسور من المكتوب ، ويجهل أصول العربية — نحوها وصرفها وبيانها — جهلا يكاد يكون مطبقا ...

وفى السنة التاسعة من هجرة فرحات الى البرازيل اشترك مع توفيق ضعون ، الاديب الناقد المتمكن ، فى انشاء مجلة « الجديد » التى ظهر أول أعدادها سنة ١٩١٩ . ويظهر أن الصحافة — كالتجارة — تجرى فى دماء اللبنانيين وبين أصلابهم ! وظلا يعملان فى «الجديد» الى أن انفرد توفيق ضعون باصدار مجلة «الدليل» فى أول أبريل سنة ١٩٢٨ .

وللشاعر فرحات قصيدة « خصلة الشعر » التى سارت مسير الشمس فى الآفاق منذ أكثر من ثلاثين عاما ، فاتخذها الشباب العربى ترنيمة لحبهم ... ولم نثبتها هنا لانها ليست من أروع ما نظم ولا من أرصن ما قال ، وقد كاد هو نفسه يسقطها من ديوانه الذى طبع سنة ١٩٣٢ .

ولقد حالفت الايام — بأخرة من العمر — الشاعر فرحات ، فقر قراره فى بيت ابتناه فى احدى البقاع بالبرازيل ، وأذن الله للشاعر الجواب أخى الاسفار فى الفلوات أن يهدأ ...

فألقت عصاها واستقر بها النوى
كما قر عينا بالاياب المسافر

ولقد أحسن الشاعر فرحات حين طبع شعره كله أخيرا فى أربعة دواوين ظهرت فى سان باولو بالبرازيل

سنة ١٩٥٤ ، تحمل الاسماء الاربعة التالية : «الربيع» و «الصيف» و «الخريف» . و «رباعيات فرحات» .

وقد ترك الشاعر الشتاء ، ولعل بيتيه فى أول ديوان «الربيع» يعللان هـذا الترك اللطيف :

هــذا الربيــع نظمتــه مترنحا
والنفس تمرح فى ربيــع صبائها
فاذا بلغت شـــتاءها حدثتكم
عن صيـفها وخريفهـا وشـتائها

وفى سنة ١٩٦٤ صدر عن دار الراصد ببيروت كتاب «عودة الغائب» وهو الكتاب الذى يصف فيه الشاعر رحلتـــه من المهجر الى أرض الوطن ، كما يصف الاحتفالات التى أقيمت لتكريمه فى لبنان وسوريا ومصر عام ١٩٥٩ – ١٩٦٠ . كما اصدرت له وزارة الثقافة والارشاد القومى بسوريا كتابين أولهما «قال الراوى» سنة ١٩٦٥ . وهو مذكرات وسيرة حياة ، ورحلات . وثانيهما ديوان «فواكه رجعية» سنة ١٩٦٧ وقد كتب مقدمته الاستاذ وديع فلسطين .

ويمتاز فرحات بخفة ظـله فى نثره كما هو خفيـف الظل فى شعره ، ولقد انعقدت بيننا وبينه مودة لما جاء الى مصر زائرا سنة ١٩٦٠ أشـار اليها فى كتابه «عودة الغائب» ، ولما أقعدته ظروف طارئة عن أن يستقبل أبنائى الثـلاثة المهندسـين المغتربين بالبرازيل سنة ١٩٦٨ : نبيل وزوجته بشرى ، ويحيى ، وهانىء أراد أن يعتذر من ذلك شعرا ، فكتب الى الابيـات التالية :

محمد أهلا «بالنبيل» وزوجه
وصنويه ، أهلا بالشباب المهذب !

لئن كنت لم أذهب اليهم فانني
لأذهب في تقديرهم كل مذهب
أبوهم له عنـدي أياد وشيمتي
نرد الى الابنـاء ما كان للأب
ولـكن دهرا كبلتني صـروفه
وصالت على ضعفي بناب ومخلب
أقام قصوري حائلا دون رغبتي
وأوقف عجزي حائطا دون مأربي ...

باقة من أشعاره

السكرة الخالدة

سكرت بعينيك منــــذ الازل
وها أنا فى ســكرتى لم أزل !
ألا تذكرين الزمان القــديم
ألا تذكرين العصــور الاول ؟
ألا تذكرين بأنا وجــــدنا
محبين قبــل وجود الغزل ؟
وأنا شــهدنا سقوط العروش
وأنا شـــهدنا قيــام الدول ؟

***

تحولت فى الروض من زهــرة
الى نحلة لا تطيــق الكســل
وكنت رفيــقك فى الانقــلاب
وعونك عنــد ازدياد العمــل
نطير الى الروض عند الصبــاح
وننقــل من زهرها ما انتقــل
ونحتال فى صنع تلك الشــهاد
وان قوام الحيـــاة الحيــل
ومن ذلك الوقت كنت تحليــ
ـن من صدر صبك أسمى محل

وفاجأنا الموت يوما فمتنـــــا
ولــكن مماتا قصـــير الاجل
وكان الوجود الجديد نعيــــما
لبسنا به زاهيــــات الحلل
فصـــيرنا الله زوجي حمـــام
نغنى الضحى ، ونغنى الطفــل
وفى ليلة من ليالى الشـــتاء
وقد هطل الثلج مع ما هطـل
أضعتك بين الغصـــون ومن
أضــاع الرفيق أضاع الجذل !
فناديتك الليـــــل حتى انجلى
وناديتــك العمر حتى اضـمحل

***

أخيرا خلقت بشـــكل امرىء
يقلب بين نيـــوب الوجـــل
ويذكر عهـــــدا قديما مضى
فيـــذكر حبـــا قديما رحـل
ففتشت عنك مآوى الحمـــام
زمانا فـكان نصيبى الفشـــل
فعـــــدت وفى مهجتى لوعة
أفتش عنـــك القرى والحلل
ولـمـــا التقينـــا بذاك المسـاء
وكنت كأنك نجم أطـــــــل
ســـألتك باللحظ هل تذكرين
الزمان القـديم ؟.. فقلت : أجل !

***

فيـــــا لسرور المحب الذى
سـعى يبتغى مبتغى فوصـــل

ويا لابتهاجي بفتانة
تعود العليل فتشفى العلل
يسائلنى الصحب عن رسمها
وما رسمها صورة تبتذل
وان المصور مهما أجاد
تظل الاجادة دون الاقل
فكم صوروا المقل الساحرات
وما صوروا سحر تلك المقل
وكم صوروا قبل العاشقين
فهل صوروا طعم تلك القبل ؟

وهل من يصور نشر الورود
اذا صوروها حسانا ؟ وهل ؟
ولكنني شاعر بيراعى
كسوت المصور ثوب الخجل
فصورتها بجمال المعانى
ولونتها بمعانى الجمل !
ففى خلقها كل لطف النسيم
وفى خلقها كل أنس الحمل
وفى شعرها كل عطر الرياض
وفى ثغرها كل طعم العسل !

وفى لفظها خير ما فى الكروم
وما فى كئوس قسوس الجبل
وفى وجنتيها ، وفى مقلتيها
خضاب الحياء ونور الامل
تغنى فيأخذ عنها الهزار
وتمشى فيأخذ عنها الحجل
فيارب صنها لهذى الصفات
تصن صبها عن مهاوى الزلل !

الراهبة

اطلت من الدير عنــــد الضحى
وفى ناظريهـــــا بريق الاسى
فتـــــــاة كأن الاله براها
ليجعلهـــــــا فتنـــة للنهى
ولـكنها فى صبـــاح الحيـــاة
علا وجنتيهـــا شـحوب المســا
رماها الزمان بهجر الحبـــيب
فداوت ضـــلال الهوى بالهدى
تصـــلى فتحسبهـــا دميـــة
من العـــاج ســاجدة للدمى
وتلثم تلك الدمى بخشـــــوع
فيوشـكن يلثمنهـــا من جوى
تحاول نسيـــان محبـــوبها
وزهو الشـــباب وعز الغنى
واقسى من الحب كتمـــانه
وأنـكى من الهجر فقـد الرجا

***

ولمـا بدت شمس ذاك النهـار
بدت خـارج الدير ذات التقى
تجمع من حوله ضـــــمة
من الزهر تهدى لفـادى الورى
فبينـــا تسـير على مهلهـــا
وتجمعهـا من هنا وهنا . . .
وقـــد عانق الورد فى كفهـا
حســان الشـقيق عنـاق الهوى

رات زهــرة فى اعالى الجــدار
تداعبهـــا نســـمات الصبـــا
فأعجبهـــا شـــكلها المســتطيـــل
ولون كقوس الســـحاب زها
وقد زاد فى قـــدرها أنها
تعـــز على من يريد الجنى
فحرك منظرها نفســـــها
وقالت بملء الحنـــان لهـــا :
أخية يهنيك هـــذا السمو
وهـــذا البهاء وهـــذا الرضى
ولــكن أما كان أشــهى لديك
جوار الازاهـــير بين الربى ؟
تحوم عليك بنـــات القفـــير
وتسعى اليك صـــبايا القرى
وتســـمعك الطـــير انشـــادها
ومنه الحجاز ومنه الصـــبا
لأنت تعيشـــــين فى عزلة
فلا فى الســـماء ولا فى الثرى
لمن خلق الله هـــذا الجمال
ومن يتنشق هـــذا الشذى ؟

***

وفى الليـــل ســـارت الى خدرها
وفى قلبهـــا مثل نار الغضـــا
ولمـــا نضت ثوبهـــا لتنـــام
تبين من حســـنها ما اختـــفى
فمدت الى صـــــدرها كفها
وقد فتح الورد تحت النـــدى
وقال لهـــا قائل صـــامت
وكان الذى قيـــل رجع الصـــدى :

وأنت تعيشين في عزلة
فلا في السماء ولا في الثرى
لمن خلق الله هذا الجمال
ومن يتنشق هذا الشذى ؟

لولا ضميرى

توالت هموم الحياة عليا
ولولا ضميرى لعشت خليا

***

فكم ثروة تعجز الحاسبا
تسلمت وهى لبعض التجار
فقلت : أفر بها هاربا
فقال ضميرى : حذار ! حذار !
فأرجعتها وغسلت بديا
ولولا ضميرى لكنت غنيا . . .

***

وبكر أتت حجرتى موهنا
تقود خطاها غرور الصبا
فقلت : سأبلغ منها المنى
فقال ضميرى : ألست أبا ؟
فأغمضت عن حسنها ناظريا
ولولا ضميرى جنيت الشهيا

***

وسابقت فى الشعر فرسانه
فقصرت عن فارس مفلح
فقلت : أعرقل ميدانه
فقال ضميرى : ألا تستحى ؟

فعدلت حب التفـــوق فيـا
ولولا ضميرى تركت دويا . . .

***

شكوت ضــميرى شكوى الجهول
ونحت على الحظ نوح الغراب
فأســمعنى الله صــوتا يقول :
أتشكو ضميرك يا ابن التراب ؟
ولولا ضـــميرك ما كنت شـيا
ولو كنت من نيرات الثـــريا !

يا عيـــد

يا عيـــد لا تنـكر غنـــاى فانما
أنا بلبل مسخ الزمان صــداحى
قد كنت أشرب بالثغور اذا دعا
داعى السرور ، وليس بالاقداح
واذا المرافع أقبـــلت ألفيتنى
فيها أخا طرب ، طليق جناح ..

***

يا عيـــــد عدت وأدمعى منهلة
والقلب بين صـــــوارم ورماح
والنفس يائســـــة فليس بنافع
عذل العذول وغيرة النصـــاح
والصدر فارقه الرجاء فقد غدا
وكأنه بيت بلا مصبـــــــاح

***

يمشى الاسى فى داخلى متغلغلا
بين العروق كمبضــــع الجراح

وتظل تلويني عواصـــفه كما
تلوى الرياح بواســـق الادواح
وتشـــدني كف القنوط ملحة
فأطيـــع خوف زيادة الالحاح !

***

يا عيد ليتك تحمل الاخبار من
متخلفين قســـوا على نزاح !
ويلاه ! قلت قســوا وما أدرى أهم
فى الارض أم فى عالم الارواح
أماه ليت مع النسيم رســالة
تأتى فتـــرجعنى الى أفراحى !
مرت ليالى العيـــد بى وكأنما
وجه العبوس بوجهها الوضـاح
وكأن زاهـــر فجـرهـا لـكآبتى
ليـــل يعج بأقبح الاشـــباح

***

أنى التفت أرى الخلائق تحتسى
راح الصفا وأنا المدامع راحى
فـكأنهم قـــد أودعوا اتراحهم
فى مهجتى ، فتضاعفت اتراحى !

خيال الوطن

الى انتظـــرت القمـــر أشـــكو له أمرى
فازددت لمـــــا ظهر جمـــرا على جمـــر
هـــذا خيـــال الوطن فى وجنـــة البـــدر
ســـموه محوا ومن ســــماه لم يدر

***

هـــذى سفوح التلال هـــذى أعاليهـــا

هــذى عيون الجبال تجرى مآقيهــا
هــذى مراعى الظبا هــذى مآويهــا
هــذى ديار الصبـا يا ليتنى فيهــا !

***

أهل الحمى . والحمى فى ذمــة الله
والصب يشكو الظمـا والمــرتجى لاه
كم ذا المحب اشتكى للــكوكب الزاهى
يزجى البــكا بالبــكا والآه . . . . بالآه !

***

يا رب ! هـذا النوى يستنزف العيــنا
بنــا فلج الهوى ما أصــعب البينا !
ان كنت تأبى اللقــا ما بين جسمينــا
فاجمــع بروح التقى فى البــدر رسمينا !

***

جنـات لبنـان يا جنـات لبنــان
ان جف عنك الحيـا رونك أجفــانى
مدى ظــلال الوفا فى أرض غســان
واحمى ثمار الصــفا عن كل خــوان !

***

جنـات لبنـان هـ ـذى غوطـة الشــام
يختال فوق الســهى ريحانها النــامى
كم من فتى مهتــد للمجــد مقــدام
يروى ثراها الصـدى من جرحه الدامى ...

منابع الشعر

يقــولون عمن أخــذت القــريض
وممن تعلمت نظــم الــدرر ؟

وأين درست العـروض وكيف
تلقفت هـذا البيـان الاغر
وما كنت يوما بطـالب علم
فانا عرفناك منـذ الصـغر !

***

فقلت : أخذت القريض صبيا
عن الطـير وهى تغنى السحر
وعن خطرات عليـل النسيم
يمر فيشـفى عليـل البشر
وعن ضحكات ميـاه الجداول
فوق الجـلامد تحـت الشـجر
وعن زفـرات المحب الاديب
يزاحمـه الموسر المحتقر
وعن نظرات الحسـان اللواتى
يكدن يغلفلنهـا فى الحجر !
وعن عبرات الحزانى الضـعاف
ففى عبـرات الحزانى عبـر !

***

كذاك تعـلمت نظم اللآلى
لفرط الغرام وطول السـهر
فانى سـهرت كثيرا وكنت
الى النـيرات أطيـل النظر
وان الـكواكب كانت تغيب
وتبقى بقلبى جليـل الاثر
فهـذى القصـائد منهـا السماك
ومنهـا الثريا ، ومنهـا القمر !

***

لئن كنت لم أدخل المدرسـات
صـغيرا ولا بعد هـذا الـكبر

فــذا الـكون جامعــة الجامعات
وذا الدهر أســـــتاذها المعتبر
ففى المبـكيات بيـان جميـــل
وفى المضـــــحكات معان غرر

وفى كل ما يبـــصر المبصرون
دروس تنــــــار بهن الفكر
فمن يحى يوما ولا يستفيـ
ـد اعمى البصيرة أعمى البصر

حيــاة مشقات

أراقب فى الظلماء ما الليــل يحجب
وأقرأ فى الاســـحار ما الله يكتب
واستعرض الايام : يومى الذى مضى
دليـــــل على يومى الذى أترقب
فلا تســـــألوا عني وحظى فاننـــا
لأمثـال أهل الشرق والغرب مضرب
طوى الدهر من عمرى ثلاثين حجة
طويت بها الاصـــــقاع اسعى وادأب
اغرب خلـــــف الرزق وهو مشرق
واقســـــم لو شرقت كان يغرب
وانفر من واد لطــــود كأنني
وقد بوق الداعون للصـــيد ربرب !

لئن غردت للشـــــــاعرين بلابل
فان غراب الشـــؤم حولى ينعب
وان كان علمـا ثابتـا قول بعضهم
لـكل امريء نجم . فنجمى المذنب ..

ومركبة للنقـــــل راحت يجرها
حصـــانان : محمر هزيل وأشهب
لها خيمة تدعو الى الهزء ، شدها
غرابيـــل أدعى للوقار وأنســب !
جلســـــت الى حوذيها ووراءنا
صـــناديق فيهـا ما يسر ويعجب
حوت ســلعا من كل نوع يبيعها
تتى ما استحل البيــع لولا التغرب
وراحت كأن البــــر بحر نجاده
واغواره امواجـــــه ، وهى مركب
تبين وتخفى فى الربى وحيـــالها
فيحســبها الراءون تطفو وترسب
وتدخل قلب الغـاب والصبح مسفر
فتحسب أن الليـــل لليـل معقب
تمر على صم الصـــــفا عجلاتها
فنسمع قلب الصخر يشكو ويصخب
وترقص فوق النـاتئات من الحصي
فنوشـك من تلك الخـلاعة نقلب !

نبيت بأكواخ خلت من أناســــها
وقام عليهـــا البوم يبكى وينذب !
مفككة جدرانهــــا وســـــقوفها
يطل علينــــا النجم منهــا ويغرب
عليهــا نقوش لم تخطط بريشـــة
تظن صباغا لونها ، وهو طحلب !
يغنى لنــــا فيهـــا الهواء كأنه
ينومنا ، والبرد للنـــــوم مذهب
فنمسى وفى أجفاننا الشوق للـكرى
ونضـحى وجمر السـهد فيهن يلهب

وماكلنا مما نصيــــــد ، وطالمــا
طوينا لأن الصيـــــــد عنا مغيب
ونشرب مما تشرب الخيـــــل تارة
وطورا تعاف الخيل ما نحن نشرب !
حيـــاة مشـــقات . . . ولــكن لبعدها
عن الذل تصفو للأبى وتعذب . . .

***

وقد نلتقى بعض الجميلات صـدفة
فيطربننـــا والمبـــدع الفيـــد مطرب
وكل مكان فيـــه للحســـــن مرتع
وللطرف ملهى فيـــــه للحب ملعب
وما تلتقى عينـــا فتـــاة حييـــــة
وعينـــا فتى الا لــكوبيــد مأرب !
وهل أنا الا شـــــاعر لان قلبــه
فليس له من صولة الحسن مهرب ؟
نفتنى من المدن العواصـــــم عزتى
فرحت بأطراف الولايات أضـــــرب
أعاشر من لو عاشر القرد بعضـــهم
لمـــا رد عن « دروين » قبر مقبب
وأنصت مضـــــــطرا الى كل أبله
كأنى بأسرار البـــــلاهة معجب !
وأكره أشياء رفيــــــقى يحبهــــا
وأرغب فى أشـــــياء عنهن يرغب
وأرهب قطـــاع الطـريق . . . وربما
تعمدت اظهـــار السلاح ليرهبوا . . .
فعز الفتى الطاوى الفيافى مســـدس
كمـــــا أن عز الليث ناب ومخلب
وما صـــين حق لا ســـلاح لربه
وأضعف أنواع السلاح التأدب . . .

ولولا نيوب الاســـد كانت ذليــلة
ســـــاط . ونعنو للشكيم ونركب
وكم ظالم يستعبد النـــــاس عنوه
وحجته الـكبرى الحسام المشطب . . .

***

أقول لنفسي كلما عضـــــها الاسى
فالمها : صبرا ففى الصبر مكسب
لئن كان صعبا حملك الهم والاذي
فحملك من الناس لا شك أصعب
فلولا اباء مازج الطبـــــع لم يكن
لمنـــــلى مجىء فى البرارى ومذهب

ولولا رجائى أن نظلى بعيـــــــدة
عن الضيم لم يوطــا برجلى سبسب
فلا تعذلى صحبا دروا بى وما عنوا
بأمرى فهم منى الى الفقر أقرب
ولا تأملى من غير صـــحبى معونة
فما تخصب الـكفان والقلب مجدب

ولا ترتجي الاخــلاص من كل باسم
ففى الباســـــمين المبغض المتحبب
ولو كان كل المظهـــــرين لى الوفا
وفيين لم يعجزك يا نفس مطلب . . .

عتبت على ناس أضـــــاعوا مودتى
وكل كريم خانه الصـــــحب يعتب
فقـــــد زعموا أنى هجوت حبيبهم
وأنى ســـأهجو غــيره حــين اخطب
ولست بهجاء . . . ولـكنه الهوى
اذا قاد نفس المرء فالنـــور غيهب

انا من يرى ان الرياء معـــرة
وان خبيث القول فى الصدق طيب
وما أنا الا كالزمان واهــــله
أعاف واستحلى ، وأرضى وأغضب
فأى هجاء فى مقـــالى لعقرب
له ولع بالشر ! انك عقـــرب !
فيـــا نفس الا أنت مالك واعلمى
بأن كل برق غـــير برقك خلب
تعبت اذ استنظرت خيرا من الورى
ومستقطر السلوى من الصاب يتعب

يارسول الله (*)

غمر الارض بأنوار النبـــوه
كوكب لم تدرك الشـــمس علوه
لم يكد يلمع حتى أصـــبحت
ترقب الدنيـــا ومن فيهـــا دنوه
بينما الـكون ظـــلام دامس
فتحت فى « مكة » للنور كوه
وطمى الاســـلام بحرا زاخرا
بأواذى المعـــالى والفتـــوه
من رأى الاعـــراب فى وثبتهم
عرف البحر ولم يجهل طموه
ان فى الاســـلام للعرب علا
ان فى الاســـلام للنـاس اخوه
فادرس الاســـلام يا جـاهله
تلق بطش الله فيه وحنـــوه

(*) انشدها الشاعر المسيحى فى حفل عيد المولد النبوى بسان باولو

يا رســـــــول الله انا امة
زجها التضليـــل فى اعمق هوه
ذلك الجهل الذى حاربتـــــه
لم يزل يظهر للشرق عتـــوه
قل لاتباعك صلوا وادرســـوا
انما الدين هـــدى والعلم قوه

يا أمي !

قطع البـــريد على حلم لقـــاك
ونعى السرور الى حين نعـــاك
وا رحمتا لبنيك حولت النوى
أهـــداب أعينهم الى أشـــواك !
كانوا يرجون اللقـــــاء فغيرت
مجرى الحوادث دورة الافـــلاك
فجعوك يوم دعت مصاحبة العلا
بفراقهم ، ففجعتـــــهم برداك
ما كان أتعســـــهم غداة تفرقوا
عن عشهم والصـــادحات بواك
وأبو الصقور على فراق فراخه
فى غمـــرة مع دهره وعراك
يرجو فلا يسع الفضـــاء جناحه
ولـــكم رماه اليأس فى الاشراك
لهفى عليه مضى بداء حنينـــه
وبقيت صـــــابرة على بلواك
ان كان أهلـــكه الفراق فانما
أمل اللقـــاء هو الذى أبقـــاك
انفقت عمرك ترقبين رجوعنـــا
وتجوس كل ســـفينة عينـــاك

وتحملين الريح كل رسـالة
خرسـاء لقنها فؤادك فاك
ما مرت النسمات بى عند الضحى
الا عرفت بطيبهـا رياك
والبـدر لم يظهر لعينى مرة
الا قرأت بوجهـه نجواك !

وهواتف الروض الطروبة ما شدت
الا سـمعت بشـدوها شـكواك
أشقى النسـاء على الثرى أم قضت
أيامهـا فى وحـدة النسـاك
أبنـاؤها ملأوا البيوت وبيتهـا
خال من الحداث والضـحاك
سـحروا بمزعوم الفنى فتحولوا
صورا على الجدران دون حراك
الاذن توهمها سـماع حديثهم
والعين تنذرها : نهاك ! نهاك !

ترنو الى الافق البعيـد بمقلة
تبغى احتـراق دوامس الاحلاك
وتسائل الاقمـار : أين محلهم
ومتى يكون من الاسار فكاكى
ركبوا الخضم الى النضار فليتنى
ألقيت نفسى فيه للأسـماك !
وقضت ملوعة الفؤاد وعينهـا
تجتال بين البـاب والشبـاك
أماه ! ليس على الغريب ملامة
بعض الذى يدهى الغريب دهاك
حمل الذى حملت من ألم النوى
وعنا لسيف الغربة الفتـاك

انا خدعنا بالسراب . . . وطالما
خدع الصدوق بمظهر الافاك
وجنى علينا المال شر جناية
والمال شيطان بشكل ملاك!
تنهار آمال الشباب لأنها
تبنى على أسس لهن ركاك
والدهر يأخذ من حياه ربيبه
تمن الذى يعطيه من ادراك
شبنا وغيرت الخطوب وجوهنا
وتعكر الصافى ، وحال الزاكى
لم يبق فينا من طفولتنا سوى
ومضات برق من شعاع هداك
ربيتنا عربا ، وحولك نسوة
أولعن بالافرنج والاتراك!
وأريتنا أن الفضائل جمة
وأحبهن اليك صون حماك
لبيك! انك لو دعوت الى الظبا
والى المراقم ميتا لباك
زادت وفاتك فى الشآم جهادنا
من ذا يبيح ثرى يصون ثراك ؟!

***

أماه يا فخر البنين تحية
منا عليك لها شذا ذكراك
حسب المهاجر لوعة أن الاسى
يقضى عليه ، ولا يرى مثواك!

وطن الجمال

احتفلت بلدة « كفر شيما » فى لبنان صيف سنة

١٩٥٩ بعودة ابنها الياس فرحات لزيارتها بعد غربة امتدت الى تسعة وأربعين عاما . وفى حرارة اللقاء وابتهاج المحتفلين بأوبة الغريب ألقى شاعرنا قصيدة طويلة رائعة قال فى مطلعها :

سلست لى الاقدار بعد حران
وأعاضنى مما فقدت زمانى
هذى ملاعب صبوتى أرتادها
متنصتا فيها لهمس جناني
فى كل منعطف حديث حداثة
متسلسل منه معين معانى
أشباح ماضى البعيد قريبة
منى تقابلنى بكل مكان
وتضج فى الذكريات مزيلة
ما كان فى الهجران من نسيان
لبنان يا نفس الخزام ضحى ، ويا
قبل الندى للنرجس الظمآن

عاد ابنك النائى اليك وقلبه
يروى حديث الشوق بالخفقان
عيناه تائهتان باحتنان فى
دنياك عن رفقائه الفتيان
يمشى هنا وهناك وهو محدق
للناس والاشياء كالحيران
متلفت ، متسائل عن صحبه
وبصحبه لعبت يد الحدثان
أين الصبايا الحالمات ولم يكن
وضح الغرام لهن بالصبيان ؟
أين الذين تركتهم عند النوى
فى السفح بين الكرم والبستان ؟

اين الرفاق المشرقات وجوههم
لسلامة الارواح والابدان
ذهبت بهم ، هذا الى لا رجعة
ترجى ، وذاك لرجعة بهوان
عاش المهاجر فى المهاجر شاكيا
بل حاسدا من مات فى لبنان
باع الشقى شبابه بنقودها
بيع المقامر حنطة بزوان
لو عاد بالدنيا العريضة بعد ما
فقد الفتوة عاد بالحرمان
ان الفتوة فى الحياة حديقة
مخضلة فى مهمه حران
ان الشيوخ المبعدين عن الهوى
والموميات لدى الهوى سيان
ان لم تجد فيك الحسان بقية
من روعة لم يجدك الثقلان !
فانظر لقدرك عندهن فأنت من
نظراتهن اليك فى ميزان
وتلق مبرم حكمهن بحكمة
وتقبل التنفيذ باطمئنان !

***

لبنان يا وطن الجمال تحية
تغشى ربوعك مع شذا نيسان
يا مهد أحلام الشباب ومصدر الـ
ـحب البرىء وهيكل الايمان
انى أراك فتى أشد فتوة
من عهدك الماضى ، فكيف ترانى ؟ !

الشاعر القروي

١٨٨٧

قد تكون الترجمة لشاعر أو أديب أمرا صعبا اذا عزت مصادر حياته ، ولكن قد يكتب الشاعر أو الاديب لنفسه ترجمة ذاتية ليهون على الناس أمر سيرته ، فيزيدهم صعوبة من حيث أراد التسهيل عليهم ... لانه قد يكاشف الناس من مستور أمره وخصوصية شأنه بما يحير الذين يودون الكتابة عنه ، أو التعريف به ... وكذلك شأننا اليوم مع الشاعر القروى « رشيد سليم خورى » .. فقد كتب ترجمة حياته بقلمه هو فى مقدمة ديوانه الضخم « ديوان القروى » الذى طبع فى البرازيل سنة ١٩٥٣ .

ولقد كان الشاعر القروى صريحا كل الصراحة حين ترجم لنفسه ، فولج معنا أعماق نفسه وحناياها ، وصورها على حاليها ... بخيرها وشرها ، وبعصمتها ونزواتها .. حتى لم يدع سؤالا لسائل ، ولا فضلة لمستطلع ، ولا شهوة لصاحب فضول !

ولد شاعرنا بقرية البربارة من جبل لبنان سنة ١٨٨٧ ، وقد ورث الشعر عن أبيه الذى كان له فى النثر والنظم بعض الاجادة ، وورث من قريته رخامة

الصوت التي تميز أهلها جميعا . ومن هنا كان الشاعر ينشد أشعاره علي أوتار العود الذى يحتضنه ، كما كان يفعل شعراء الغناء فى العصر العباسى ... وتعلم فى قريته ، ثم فى مدرســــة الفنون الامريكية بصيدا ، فالكلية السورية الانجيلية ببيروت ، وأنتهى من حياة التعلم ليشــــتغل معلما فى مدرستى طرابلس والمينا الامريكيتين ، فالكلية الشرقية فى زحلة ، فمدرسة الامريكان فى سوق الغرب . ورسالته فى التعليم تذكرنا برسالة الشــاعر محبوب الشرتونى من شعراء المهجر الشمالى ، ولا يعرف المترجم له من اللغات الاجنبية غير نزر من الانجليزية والبرتغالية ، أما العربية الصحيحة الفصيحة فهى لغة ثقافتــه ، وقد تمنى لو يطول به الاجل ليغترف من كنوزها المخبوءة وخاصة عن المغتربين

ولقد هاجر الشاعر من وطنــه الى البرازيل سنة ١٩١٣ باغراء من عمه المهــاجر من قبل . وقد احجم الشاعر أول الامر خشية أن لا يكون فى المهجر ســماء كسماء لبنان وجبال كجبالها ... ولـكن وفاة والده سنة ١٩١٠ واغراقه فى الديون قد حمــل الابن على الهجرة ليجمع من المال ما يبرىء به ذمة والده ويقضى دينه ، وقد لقى من العنت ما لاقاه الشاعر اليــاس فرحات وغيره من الذين كابدوا فى المهجــر ، فحمــل صندوق الزنك على ظهره يبيع الســلع فى لفح الحر وتحت وابل السيل . وكانت الامور تنفرج له بعد أن تستحكم حلقاتها ... ففى أشد ساعات العسر ، وقد فرغ جيبه من آخر درهم ، قيض الله له من يريد تعلم الضرب على العود، فأعطاه دروسا يفرج بأجرها كربته..

ويمتاز الشاعر القروى بروح وطنيــة عالية ، فهو اقوى الاصوات العربية الوطنية فى المهجرين ، ولا تمر

مناسبة وطنية عامة الا ارتفع فيها صوت الشاعر مجلجلا بشعر قوى رصين مملوء بالايمان والحماسة الثائرة المثيرة . وخاصة فى الاحداث الكبرى التى منيت بها الاوطان العربية منذ عهد بعيد. وكان الشاعر القروى يطوف على القرى والاقاليم البرازيلية النائية يجمع التبرعات من العرب فى المهجر لخدمة القضايا العربية ، ويأخذ أجور رحلته من ربح الجوارب التى يبيعها على ظهره ...

والشاعر القروى — هو وزميله الياس فرحات — يمثلان فحولة الشعر العربى فى المهجر ، وهو كصاحبه من انصار الرصانة ، وصحة الاسلوب وبلاغة العبارة ، وتمكن القافية ، والحفاظ اللغوى . واذا كان هذا الحفاظ اللغوى هو طابع الادب العربى فى المهجر الجنوبى ، فان ذلك لم يمنع من ظهور حركة مجددة متحررة من كل قيد لغوى أو نحوى أو عروضى ، كما يبدو لنا فى شعر الشاعر « نعمة قازان » .

وقد بلغ من ايمان الشاعر القروى باللغة الفصيحة انه وسم كل عادل عنها بسمة الكفر بالعروبة وبالعرب.

والقروى شاعر حساس دقيق الحس ، يجد فى الطبيعة أنسا لوحشة نفسه . وله فى ذلك غرائب رواها فى سيرة حياته . وقد يطغى جمال الطبيعة على حسه ووجدانه ، فيرده الى خشوع يلصق جبينه بالتراب ويسكب من عينيه وشفتيه تسبيحة رطبة ، حارة ، فيمتزج فى وجهه البكاء بالثناء على الله صاحب الآلاء.

ولقد تبرعت الجالية العربية فى المهجر بطبع ديوان الشاعر القروى تبرعا سخيا ، فظهر الديوان فى ٩٢٨ صفحة . وكان بذلك أضخم ديوان للشعر العربى المعاصر ، فى العالمين القديم والجديد ..

الولادة الجديدة

اذا الشمس يا أم لاحت هتفت
هتـــاف الغريب رأى الموطنــا
وقبلت غرتها بالبنـــــــــــان
وطوقت بالســـاعدين الســـنا
كذلك كنت أمــــــــــد يدى
الى النار طفــلا ! أطفــل أنا ؟

***

واذ يـــكفهر جبـــين الســـماء
وتسكب أجفـــــانها الدمع طلا
وتنشر فوق الرءوس المظــــــلا
ت لم ارض غير السحابة ظلا
كذا كنت أعشق خوض الجداول
طفلا ! فهل عدت يا أم طفلا ؟

***

مررت بأترابى التــــــــاجرين
فلم الق الا العبوس الوقورا !
فملت الى الحقل حيث الصفار
تنـــاغى الطيـــور وتجنى الزهورا
فهل صـــــار كل رفاقى كهولا
وهل أنا وحدى ظللت صغيرا ؟

فاسمعنى الطـير عنـد الصبـاح
جواب الطبيعة لى تنشـــد :
بنى ! ولدتك طفـــلا جديدا
فقل للرفاق الالى تعهـــد :
لقـــد مـــلأ الارض أولادكم
وانتم الى الآن لم تولدوا . . .

اجعل الارض

اجعل الارض حيث كنت جنانا
ان تكن قد هجرت منها جنانا
صفرت نفس حاصر النفس فى اشـ
ـبار أرض يعـــدها أوطانا
انت حر فاستوطن البلد الحر
وصـــاحب من أهـــله اخوانا
مثلك الـكون والزمان .. فلا تلـ
ـح مكانا ، ولا تـــذم زمانا
واسم عن أن تشكو الى الناس فقرا
ولئن بت جائعـــا ظمـــآنا
ليس فى قضمك الحدبد هوان
ان فى بثك الشـــكاة هوانا
بســمة تظهــر الفقــير غنيــا
دمعـــة تمسخ الشــجاع جبــانا
فتلق الحيـــاة بالبشر فالعيـ
ـش نعيم ان لم تكن شيطانا
ليس بدعا ان كنت تطلب ما تقـ
ـصر عنه أن تشـتكى الخذلانا
لم يخب طالب رغيـــفا بسعى
واذا عز حنطـــــة فزوانا

أنت لفظ يعنى الخلود فكم تعـ
ـنى بفان فى حبه تتفانى ؟
كن اله النضار ! انك عندى
لست شيئا ما لم تكن انسانا
اشبع العقل حكمة واختبارا
واملأ القلب رحمة وحنانا
ولك الارض والسماء وهل يد
عى فقيرا من يملك الاكوانا ؟

الفتنة الكبرى

عرتنى خشية لله لما
رأيت الشمس تأذن بالشروق
فلم أرفع يدى بالحمد حتى
ذكرت بضاعتى وكساد سوقى
ولما قمت منصرفا لشأنى
تذكرت الصلاة على الطريق ...

***

حملت نماذجى ... القى اتكالى
على المولى ووعد من صديق
فلم أبصر جمال الروض حتى
عرتنى هزة الشعر الرقيق
ولما عدت من نظم القوافى
تذكرت الصديق على الطريق !

***

وانى فى ذهول الشعر يوما
أحوم به على غصن وريق
اذا بحمامة تبكى بكاء
له جمدت دمائى فى عروقى ...

فلما ذاب فى سمعى صداها
تذكرت القريض على الطريق !

***

سمعت كمنجة فى كف أعمى
تثير كوامن الحس العميق
فلما كنت منجذبا اليها
وملت الى بالقد الرشيق
ذهلت عن الصلاة ، وكسب رزقى
وشعرى ، والكمنجة و .. الطريق !

عناق الوجود

من لنفس تود لو تغمر الكو
ن هياما بحسنه المعبود ؟
مثلوا لى هذا الوجود بشىء
أنا لا أستطيع ضم الوجود !

***

تطلع الشمس يستبينى بهاها
وتلوح النجوم أرعى سناها
أى واد ولم أسامر حصاه
وهضاب ولم أباكر ذراها ؟
وغصون ولم أغرد عليها
وورود ولم أمص جناها ؟
غير انى عمرى قصير وفى الكو
ن فنون من كل حسن جديد
مثلوا لى هذا الوجود بشىء
اننى أشتهى عناق الوجود !

يا سليمى ! جمعت حسن النهار
والدجى ، والسماء ، والاقمار !
والربى ، والوهاد ، والغصن والزهـ
ـر وقطر الندى ، وشدو الكنار !
فيك معنى من كل ما أبدع البا
رى تعالى بل فيك معنى البـارى !
لوحة المرصـد التى يظفر الرا
صـد فيهـا بكل نجم بعيـد
بذراعيـــــك طوقينى أطوق
بذراعى كل هــذا الوجود !

يارب

يا رب انك صـــاحب الامر
وانا اليــــك موكل أمرى
من لى سواك اذا الهموم طمت
وتلاعبت بســـفينة العمر ؟
مرها تطعـك ! فطالمـا سـكنت
طوعا لأمرك لجة البـــحر
أكذا أظـــل الدهر مرتطمـا
انجـــر من صـخر الى صخر ؟
خمس مضت ، واليوم سادسة
من غـــربتى فى اثرها تجرى
لم ألق فى أثنائها ســنة
الا وأهون ما بها فقرى . . .
شـكرا على ما سرنى ، وعلى
ما ساءنى ! شكرا على شكر !
ما لى جميـــل أرتجى معه
أجرا ولا عفوا سوى صبرى ...

الشتاء

لمعة الخاطر الجديد في سماء المخيلة
بالغرام الذى مضى والرجاء الذى قضى
جددى بيننا العهود واتحفينا ببسملة
لمعة الخاطر الجديد في سماء المخيلة

***

طال يا فتنة العقول زمن الثلج والمطر
فاكسحى هذه الغيوم واطلى على الكروم
وانفخى الروح فى الحقول وابعثى الحسن فى الزهر
طال يا فتنة العقول زمن الثلج والمطر

***

تتشكى لى الورود كلما عدتها ضحى
صل يا شاعر الزهر صل للشمس والقمر !
ذهبت حمرة الخدود ما على الجو لو صحا !
تتشكى لى الورود كلما عدتها ضحى

***

منظر الزهر فى ذبول منظر يبعث الاسى
كيف لا يحزن العروس ؟ كيف ترضى به «فنوس» ؟
هل ترى نابها الافول أم ترى قلبها قسا ؟
منظر الزهر فى ذبول منظر يبعث الاسى

المتكبرون

سل المتكبرين : هل استشيروا
بمولدهم ، وهل أمنوا الحماما ؟
وهل كشفوا من الاكوان سرا
وهل عرفوا البداءة والختاما ؟

وهل جبلوا جسومهم بخمر
وهل نحتوا من العاج العظاما ؟
وهل يفدون تحت الارض تبرا
ويمسى غيرهم فيها رغاما ؟
أليس قوامهم ماء وطينا
كما خلق الاله لنا قواما ؟
فان كانوا كغيرهم أناما
علام اذن قد احتقروا الاناما ؟
وان لم ينفعوا الدنيا بشيء
اذن فعلام منتهم علاما ؟ !

الفرح

أنا لم أفرح لأنى بطل
مثل « دمسى » أصرع القرم العنيد
أو لأنى فى الدواهى رجل
لا يبالى ان دنا الخطب الشديد
ما يلاقى
بل لأنى ناصر حق الضعيف
حين فى الحق يعز الناصر
ولأنى حالة الفوز شريف
أدعى أن سواى الظافر
فى السباق
أنا لم أفرح لأنى عالم
يتمشي فوق أعناق الدهور
أو لأنى ناثر أو ناظم
يفتن القراء أرباب الشعور

حسن نظمى

بل لأني لم أحرك قلمـــــــا
بالذي يكســـو مسوح الخجل
ولأني لم أســـــبب ألمـــا
جارحا بالسب عنـــــد الجدل
قلب خصمي
أنا لم أفرح لحشـــدي الذهبـــا
واحتيـــازي كل ما لذ وطـــاب
أو لأني بعـــد في شرخ الصبـــا
أتملى من مسرات الشبـــــاب
لا ! لعمري !
بل لأني وافر العرض نبيـــــل
ولأني مخلص حر الضـــــمير
ولأني عنـــد ما يخلو السبيـــل
ألبس الليـــــل بشيء للفقـــير
مع فقري...

أنشودة الغريب

حتـــام أحيـــا غريب ما لي وطـــن
يا يوم وصـــل الحبيب آن الـــزمن
***
دهـــر بقلـــبي رمى ســـهم النوى
يـــكويه ربي كمـــــا قلبي كوى !
هيهـــــات غير الحمى ما لي دوا
لبنـــــان نعم الطبيب للمتـــــحن
ان كنت منـــه قريب زال الحـــزن
***
لله ذاك الغــــــدير ما أعـــــذبا
لله تلك الزهــــــور ما أطيبـــــا

لله تلك الطيـــــور ما أطـــربا
من كل شـــاد عجيب ينفى الشجن
فى شــــدوه للقلوب ســلوى ومن

***

كم لى بتلك السـفوح من موقــف
والشـــمس طورا تلوح أو تختـــفى
فى ظـل روض يفوح بالمضــــعف
أو تحت غصن رطيب حــلو التثن
غنى به العنـــــدليب فوق الفنــن

***

اياك يهوى الفــــؤاد يا أمنـــــا
من دون كل البـــلاد أنت المنـــى
هل يا ترى من معــاد يوما لنـــا ؟
يا حســـن يوم تؤوب فينـا السفن
نشتم قبـــل الغروب ريح الوطن !

حضن الأم

أتذكر كيـــف كان اله موسى
الها قاســـيا يلتـــذ بالدم ؟
اذن فاليـــك كيف غدا حنـونا
علينا . . . ان تألمنـا تألم . . .

***

روى الراوون ان عثـروا بمصر
على درج غريب الخـط مبهم

فحاول فهمه العلمـــــاء لــكن
بدا لجماعة العلمـــاء طلسم (١)
الى أن حله الشـــعراء شـــعرا
ومن بالشـــعر كالشـــعراء يفهم ؟

وذلك أنه من قبـــــل عيسى
توفى شـــاعر فى الشرق ملهم
أضاع العمر فى طلب المعـاصى
يحلل ما كتـــاب الله حرم
فــكاد الى اللظى يلقى جزاء
لمــا من سيىء الاعمـــال قدم
ولــكن بره الابـــــوين غطى
مساوئه فخلص من جهـــنم
وجازاه الاله جزاء عبـــــد
تقى حســـبما فى الــكتب علم
فنام بحضن ابراهيم . . . لــكن
قبيــل الفجر شـــاعرنا تبرم

وقام لربه يشـــكو ويبـــكى
بكاء صـــــير الفردوس مأتم
فهـــدأ روعه وحنـــا عليه
وطيب قلبــــه بحنـــانه الجم
ووســـــده يديه وركبتيــه
ومال عليه بالتقبيـــــل والضم
وقال لعبـــــده داود : رنم
لهــذا البلبـل البــاكى ، فرنم
فنـــام بحضنه الابوى حينـــا
وعاد يســاقط العبرات عنـــدم

(١) أصلها : طلسم بشدة وفتحه على اللام ، وقد سكنها الشاعر للضرورة

الى أن ضج أهل الخلد غيظا
وصاح الله من غضب : الى كم ؟
أطيق تذمرا من عبـــد ســوء
يجرع كوثرا فيقــول : علقم
تظلم فى الثرى من غير ظلم
وحتى فى النعيم معى تظلم !
أرى الشعراء جازوا الحد ! انى
أكاد لخلقى الشـــعراء أندم
علام بكاك يا هـــذا ؟ وماذا
دهاك فلا تنى تُشكو ؟ تكلم ؟
أصفحى عنك قد أبكاك أم ما
جزيت به من الاحسان أم ... أم ؟
فصـــاح : العفو يا مولاى ! من لى
سواك ومن ســوى الرحمن يرحم ؟
أتيتك راجيـــــا نقلى لحضن
أحب الى من نفسى وأكرم !
لحضن طـالمـــــا قد نمت فيه
قرير العين بين الضم والشم !
أما ألقيت رأسـك فوق صدر
حنـــون خافق بمحبـــة الأم ؟
فدعنى من نعيم الخلـــد انى
نعيمى بين ذاك الصـــدر والفم
تربتنى كعـــــــادتها برفق
وتنشد : نم حبيبى بالهنا نم !

***

فأطرق ســـــيد الاكوان طرا
لشكوى شــاعر الغبراء ، واهتم

وقال لنفسه هـــــذا محال
أيعلم شـــاعر ما لست أعلم ؟
أينعم خاطىء فى الارض قبـلى
بما أنا لست فى الفردوس أنعم
لأكتشفن هـــــذا السر يوما
ولو كلفت أن أشـــــقى وأعدم

***

وكانت ليلة . . . واذا صبى
صــغير نائم فى حضن مريم . . !

عيد البرية (*)

عيد البرية عيد المولد النبوى
فى المشرقين له والمغربين دوى
عيــد النبى ابن عبــد الله من طلعت
شمس الهداية من قرآنه العلوى
بدا من القفر نورا للورى وهدى
يا للتمدن عم الكون من بدوى !
يا صاحب السيف لم تفلل مضاربه
اليوم يقطر ذلا سيفك الدموى
يا فاتح الارض ميـــدانا لقوته
صارت بلادك ميدانا لــكل قوى
يا حبذا عهــد بغداد وأندلس
عهد بروحى أفدى عوده وذوى !

(*) يستحث الشاعر المسيحى هنا عزائم المسلمين فى ذكرى المولد النبوى لاستعادة المجد القديم

من كان فى ريبة من ضخم دولته
فليتل ما فى تواريخ الشعوب روى
يا قوم هذا مسيحى يذكركم
لا ينهض الشرق الا حبنا الاخوى
فان ذكرتم رسول الله تكرمة
فبلغوه سلام الشاعر القروى !

ليبيا (1)

ليبيا يا معقل الغرب الجديدا
زدت أعياد شقيقاتك عيدا
مرحبا بالثورة البيضاء لا
جردت سيفا ، ولا حزت وريدا
من شباب همه أمته
كاد ينسى نفسه حبا وجودا
هب للسلم وللحرب معا
بطلا ينجز وعدا ووعيدا
غلب القوة بالرفق ، ولو
أغضبوه كان جبارا عنيدا
ينقل الخطوة فى نور الهدى
جاعلا رائده العقل الرشيدا

(1) نظمت عقب ثورة الفاتح من سبتمبر.

أبنـــاء المعــلوف:
فوزي - شفيق - رياض

لقد اجتمع الشعر فى هؤلاء الاخوة المفتربين فى المهجر الجنوبى ، وانحدر اليهم ذلك الميراث الادبى الرفيع عن والدهم المؤرخ الادبى الـكبير الاستاذ عيسى أسـكندر المعلوف ، العضـــو بالمجمع العلمى العربى بدمشق . وليست أسرة المعلوف هى التى انفردت من أسر المهجر بانجاب أشقاء شعراء ، فهناك أسرة الخورى من قرية « البربارة » اللبنانية التى أنجبت الشاعرين الشقيقين رشيد سليم الخورى « الشاعر القروى » ، وقيصر الخورى « الشاعر المدنى » وهما من أعضاء العصبة الاندلسية بالبرازيل التى يرأســـها الشاعر شفيق المعلوف . وهناك أسرة قنصـل من قرية « يبرود » السورية ، وقد أنجبت الشاعرين الشقيقين اليــاس قنصل ، وزكى قنصل .

ولقد اشتهر المرحوم فوزى المعلوف بقصـــيدته الرائعة « على بســـاط الريح » التى نشرت فى مجلة « المقتطف » سنة ١٩٢٩ ، ثم طبعت طبعة أنيقة فى البرازيل ، ولقيت من تقدير القراء فى العالم العربى ما لفت الانظار الى ناظمها الشاب الذى اختطفه الموت وقد أوفت سنه على الحادية والثلاثين ، فمر فى الدنيا كما يمر الطيف ، أو كحلم فى الكرى ، أو كخلسة المختلس، كما يقول الشاعر الاندلسى .

ولد فوزى فى زحلة سنة ١٨٩٩ فى أعقاب الربيع الباسم ، ولـكنه كان كما يقول عن نفسه منقبض النفس مقطب الجبين ، ولشـد ما تمنى أن يموت فى خريف صامت ذاو كما قضى حياته القصيرة فى خريف صامت ذاو .. ووجد الفتى فى كنف أبيه العلامة المؤرخ وفى خزانة كتبه ما أشبع ميوله الادبيـة البادية ، فنظم شعرا فى شبابه المبكر ، والف بعض الروايات التمثيلية.

وفى سنة ١٩١٨ عين الشاعر كاتما لاسرار المعهد الطبى العربى بدمشق ، قريبا من رعاية أبيه فى عاصـمة الامويين . وما كادت تضـع الحرب العالمية الاولى أوزارها حتى بدأ الشاعر الشـاب رحلتـه الى العالم الجديد سنة ١٩٢١ مشتركا مع أشقائه وبعض قرابته فى انشاء مصنع للحرير بمدينة سان باولو بالبرازيل .

ولـكن نسج الحرير لم يشغله عن نسج ابراد العرائس من الشعر الرقيق ، واجتمع له الثراء هو واخوته ، فلم يزدهم الا استمساكا بعروة الادب الرفيع . وفى أخريات سنة ١٩٢٩ أصيب الشاعر بمرض أعيا الاطباء ، ولم تنفع فيه حيلة الطب الذى عجزت محالته عن الاصدار فتوفى فى يناير سنة ١٩٣٠ . وكان لمنعاه رنة أسف فى العالم كله ، فنعته شركة هافاس البرقيـة العالمية شاعرا ، قبل أن تنعاه شابا من كبار رجال الصناعة فى البرازيل .

ولقد أحبه الذين قرأوا شعره ، لانه يفيض بنزعة انسانية كريمة ، وينزع الى السمو بالانسان الى أسمى مراتب الكمال ، أما الذين رأوه فقد زادهم حبـا الى نفوسهم صفاء ذهنه ، وكرم خلقه ، وعلو همتـه ، ولطف عشرته على الرغم من اتساع ثروته . وممن تأثر بلقائه الدكتور فيليب حتى ، أستاذ التاريخ الشرقى

بجامعة برنستون بالولايات المتحدة ، فلقد كتب ــ فى مجلة «الكلية» ببيروت واصفا رحلته الى البرازيل ــ كلمة يقول فيها : « قل بين الشبان الذين تعرفت بهم فى السنين الاخيرة ــ ولقد اجتمعت بالعدد الوافر منهم فى القارات الخمس ــ من أثر فى نفسى أثرا مستحبا أشد من الاثر الذى تركه فى فوزى المعلوف » .

وتمثل لنا نظرة فوزى المعلوف المتشائمة فى الحياة صدق القول بأن المال لا يخلق سعادة ، ولا يصنع غبطة ... فقد اجتمع له الثراء والشباب ، وأوفيا له الكيل ، ولكنهما لم يستطيعا أن يخلقا وتر السعادة فى عوده الحزين ... فظل حتى حين حلق الى أبعد آفاق السماء فى ملحمته « على بساط الريح » يشكو ويتألم من الحياة على الارض ، كأنه كان ينوى الرحلة الى ما وراء الحياة وهو لما يزل بعد فى نضارة الشباب. ومن هنا وجد الشاعر الدكتور أحمد زكى أبو شادى سبيلا الى نقده ونقد فلسفته التشاؤمية فى الحياة ، حين كتب عن ملحمته « شاعر فى طيارة » أو « على بساط الريح» نقدا فى عدد « المقتطف » الذى نشرت فيه تلك الرائعة الادبية سنة ١٩٢٩ .

ولقد بلغ من روعة «على بساط الريح» أنها ترجمت الى كثير من اللغات الحية ، فترجمها المستشرق جورج كفت الى الانجليزية ، والمستشرق كمبفماير الى الالمانية ، والمستشرق كرتشكوفسكى الى الروسية ، والسيدان أسعد محفل وفائز عون الى الفرنسية ، والسيد أميل مرقدة الى الرومانية ، وفنتور لوسبرينو ــ أمير شعراء البرتغال ــ الى البرتغالية ، وفرنسيسكو فيلاسباسا ــ أمير الشعر الاسبانى ــ الى الاسبانية . وتمتاز هذه الترجمة الاخيرة بتلك الدراسة التحليلية التى كتبها المترجم عن الشاعر وشعره .

وفى سنة ١٩٣٧ ازيح الستار فى حديقة عامة بمدينة زحلة عن تمثال نصفى من البرونز نحته مهاجرو العرب فى البرازيل ، وقدموه تذكارا للشاعر الذى انبتته المدينة اللبنانية الحالمة ، ليعود اليها أريجا عاطرا فى سماء الخلود .

***

أما شفيق المعلوف فهو صاحب ملحمة « عبقر » ، وهى قصيدة اسطورية جمع الشاعر مادتها من أساطير القدامى ، وطاف فيها بعوالم غير عالمنا ، وأبعد فى أودية « عبقر » كما أبعد المعري فى « رسالة الغفران » ودانتي فى « الكوميديا الالهية » . وقد كانت هذه الملحمة فى طبعتها الاولى بالبرازيل سنة ١٩٣٦ فى ستة أناشيد ، فأضاف اليها الشاعر ستة أخرى فى طبعة سنة ١٩٤٩ وصنع لها ـ هو لا ابوه كما ذكر بعضهم وهما ـ مقدمة تاريخية فى أساطير العرب وما شابهها من خرافات الاقدمين .

ولد شفيق فى زحلة سنة ١٩٠٥ وشدا من العلم فى كليتها الشرقية ، وفى سنة ١٩٢٢ جذبته اكناف والده فى دمشق ، فعمل محررا فى احدى صحفها المشهورة « ألف باء » ، ولم يطل مقامه بعاصمة الامويين اكثر من ثلاث سنوات حتى غادرها سنة ١٩٢٦ مهاجرا الى البرازيل ، حيث كان هناك شقيقه المرحوم فوزي وكثير من افراد أسرته . فانعقدت له فى عالم الصناعة شهرة لا تقل عنها شهرته الادبية المطبقة ، ويعينه فى الميدان الصناعى والتجارى شقيق رابع اسمه اسكندر .

ويعيش شفيق فى سان باولو فى قصر مشيد ، لم تصنعه أحلام « عبقر » ولا خيالاتها ! ولكنه قصر منيف من

الواقع ، تتسع رحابه الكريمة لاعضاء « العصبة الاندلسية » ، وللوفود العربية التى تفد من أوطان العروبة الى البرازيل من حين الى حين .

وقد القت العصبة الاندلسية فى البرازيل مقادتها الى الشاعر شفيق معلوف ، فالتقت فى همته وشاعريته ومركزه الاجتماعي المرموق روافد النشاط الادبى والمادى فى ذلك المهجر الجنوبى البعيد ...

ونظرة « شفيق » الى الانسان ولؤمه وخبثَ طبعه لا تقل عن نظرة أخيه المرحوم فوزى ، كأنهما استقيا فلسفتهما من معين واحد ... فالانسان عند المرحوم فوزى :

جاء والطهر والرواء رفيقا
ه وثوب العفاف كل ثيابه
وتولى يقوده الاثم والدا
ء الى القبر فى غضون شبابه
هو يحيا للشر ، فالشر يحيا
ابدا حيث حل شؤم ركابه

والانسان عند صاحبنا شفيق ـ أطال الله عمره ـ قد أفزع العرافة فى وادى عبقر ، فقالت تخاطبه :

ويحك يا انسان ! الق عصا سحرك
ذعرت فينا الجان فعذن بالشيطان
من شرك . . .

وقد أفهم هذه النزعة التوجسية من الانسان عند شاعر انعزالى ينطوى على نفسه فيأنس بالذئب اذا عوى ، ويكاد يطير من صوت الانسان ... أما عند شاعر كشفيق آتاه الله بسطة فى الشباب والمال والاعمال ، فلا أفهم لها سببا الا أن تكون « وقاية من العين » كما يحتاج الجمال الى عيب يوقيه من العيون ، ويبعده من شر الحاسدين !

ولشفيق معلوف غير ملحمته الشعرية « عبقر » ، ديوانا « لكل زهرة عبير » ، و « نداء المجاديف » وقد طبعا فى بيروت سنة ١٩٥١ وسنة ١٩٥٢ على الولاء ، وقد اخترنا القصائد الجديدة من هذين الديوانين . أما كتابه « حبات زمرد » الذى طبعته وزارة الثقافة والارشاد بدمشق سنة ١٩٦٦ فهو مجموعة مقالات فى الادب والنقد تدل على اطلاع واسع فى الادب العربى والآداب الشرقية .

وبقى من أبناء معلوف « رياض » ... وهو شاب ترتسم على ملامح وجهه النضر ابتسامة حلوة ، ولكن شعره مملوء بالبكاء والنواح ، وبسمات الموت ، ورمز الشقاء ، والدموع ، والوتر المقطوع ... وغير ذلك من عناوين أناشيده الحزينة الباكية فى ديوانه « الأوتار المتقطعة » . ولقد أسرف هذا الشاعر الناشىء الشاب فى سكب الدموع ، حتى لم يبق فى عينيه الدامعتين فضلة من العبرات لغده المأمول الممدود ...

ان فى قيثارة « رياض معلوف » رقة وحلاوة فى النغمات ، وخاصة فى مثل هذه الابيات :

هذه الدنيا لنا لحبيبى ، لى أنا
فتمتع يا حبيبى فالمنى تلو المنى
أى شىء نبتغيه لم تنله يدنا ؟
طالما انت بقربى كل شىء ههنا !

فحرام ان تتحول هذه الطاقة المذخورة من الرقة والحنان ، الى أناشيد الالم ونغمات الاسى والاحزان .

ولد رياض سنة ١٩١٢ ، وهاجر الى البرازيل سنة ١٩٤٠ ، ولكنه لم يطل المقام فيها غير بضع سنوات . ولم ينتج فى مهاجره البرازيلى الا ديوانه «خيالات» . ويعيش الآن فى زحلة فيطالعنا فى صحافة لبنان والشام الادبية بانتاج مشرق طريف .

ملحمة « على بساط الريح »
لفوزى المعلوف

ملك فى الهواء

فى عباب الفضاء ، فوق غيومه
فوق نسره . . . . . ونجمته
حيث بث الهوا بثغر نسيمه
كل عطر . . . . . . ورقته

***

حلق الشاعر العصامى منذ الـ
ـبدء لكن بروحه لا بجسمه
ضاربا فى الفضاء مع ربة الشعـ
ـر ومن حوله عرائس حلمه
ملك قبة السحاب له قصـ
ـر ، وكل الاثير مسرح حكمه
ذو وشاح من الدجى فاح كافو
ر دراريه فوق عنبر فحمه
هالة البـدر كللته بتاج
صيغ من نثر فضة حسن نظمه
والسوافى عرش له نفض الليـ
ـل على جانبيه رهبة رسمه

والثريا في كفه صـــــولجان
ذهب الصـــبح ضم لؤلؤ نجمه
شـــاعر طـائر بغير جنـــاحيـ
ـــن بأمر الخيال يقضي وباسـمه
ملـكه وكنـــه الهواء ، ولـكن
اله الخلود قام بدعمـــــه !
هجر الارض طالبـا راحة الرو
ح بعيـدا عن الوجود ، وظلمـه
صد عنه طوعا بملء رضـــاه
بعـــد أن جاءه مقودا برغمـه
هو منه ، وليس منه ، فما زا
ل غريبـا ما بين أبنـــاء أمه

نفوس الشعراء

يا نفوســا في بردة الشـــعراء
رفعتهم . . . . . على الهواء
أبعـــدتهم عن عالم الاحيـــاء
قربتهم . . . . . من السماء

***

لست من عالم التراب وان كنـ
ـت تجســـدت بالتراب عليه
أنت من عالم بعيـــد عن الار
ض يفيض الجمال عن جانبيه
عالم أنت فوقه نســـمات
حملت نفحة الشـــعور اليه
هو ما زال طاهرا ونقيـــا
لم يدنس اثم الورى بردتيـه

وفتى الشعر فيه يستنزل الوحـ
ـى بيـــانا يجثو الخلود لديه
مبقيـا طى مصـحف الافق آثا
را توشى بحسنها صفحتيــه
ما شـعاع الاصيـل غير لهيب
شـع من قلبــه على مقلتيــه
وقتــــام الغمــام غير دخان
صـعدته الهموم من شـفتيه
ما أنين الرياح غــير زفــير
سرقتـــه الرياح من رئتيــه
ونواح . الطيـــور غير أناشيـ
ـد روتها الطيـور عن أصـفريه
ما بريق النجوم غير شــــظايا
كأس حب تحطمـــت فى يديه
وندى الفـــجر غير در دموع
شربتهــــا الازهار من محجريه

حلم يتحقق

يا طيور السماء فى الريح روحى
بى جريا . . . . . . على الجلد
وبجسمى طيرى الى حيث روحى
ثم تحيـــا . . . . . بلا جســـد !

***

هو حلم ما زال فى فكرة الشـا
عر يطوى الزمان جيــلا فجيلا
حققتـــــه الايام فانظر تجدنى
قاطعا فى الاثير ميـــلا فميــلا

ما جناحا خرافة حمـــلاني
بل جناحا حقيقـة من هيولى !
فوق طيـارة على صهوات الر
يح قامت نذلل المســـتحيلا
هى طـير من الجماد كأن الـ
ـجن فى صـدرها تحث خيولا
فتظن الازيز فيهـــــا عزيفا
وتخال الدوى فيها صــــهيلا
حين هبت ونبا الى الجو تختا
ل وتعلو فيه قليـــلا قليـــلا

ثم مدت الى النجوم جنـــاحيـ
ـن وجرت على السـحاب ذيولا
دفعت موجـــة الرياح بكفيـ
ـها فشقت الى السـماء سبيلا
خببا تارة ، وطورا وئيـــدا
صـــعدا مرة وأخرى نزولا
درجت فى ممالك الطير تلقى الذ
عر من حولها وتؤتى الفضـولا
فترى فى الطيـــور كرا وفرا
وترى فى النجوم قالا وقيـلا

بين الطيور

قال نسر للآخر : « أى طير
هو هذا . . . . . ومن رفاقه ؟
ان يكن قادما الينـــا لخير
فلمـاذا . . . . . علا زعاقه ؟

يا له طائرا بصــــورة شيطا
ن تبث اللظى مراجل صدره !
يتخطى حـــدودنا دون اذن
فـكأنا وملـكنا طـــوع أمره
انني خـــــائف فلم تر عيني
طائرا قط فى ضخامه قطره ! »
فأجاب الثانى : « أعيذك منه
فأنا عارف دخيــــــلة سره
نحن لم نهجر البســــيطة الا
هربا منه واتقــــــاء لشره !
ليس طـــيرا ، لـكنه آدمى
جاء يســـــــتعمر الاثير بأسره
ربما ضـاق عن مطامعه الـكو
ن فحطت هنـا مطـامح فـكره
قم بنـا نجمع الطيـور ونمشى
للقاه ، فنتقى بعض غـدره »
واذا بالطيـــور حولى وكل
صـــامد لى بمخلبيـه وظفـره !
لا تخافى يا طـــير ما أنا الا
شاعر تطرب الطيـور لشـعره !
جاء يقضى بعض الدقائق فى مغـ
ـناك ضيفا على الهدوء وسحره
هاربا مثلمـــا هربت من الانـ
ـسان والارض ، من شقاها ومكره !

رمز الالم

انظريه يمشى وفى خطـــــواته
نزوات . . . . . من الالم

عاثر الجد ، جد تحدو بذاته
تزعات . . . . . الى العدم

***

هو فى ميعة الشباب ولكن
ضم فى بردتيه شيخا هزيلا
شارد الطرف ، تائه الفكر يحكى
مدلجا فى الظلام ضل السبيلا
ذو جبين ألقت عليه شجون النـ
ـفس ظلا من العبوس ظليلا
وقوام كأن قاصمة الظهـ
ـر أناخت عليه حملا ثقيلا
كتب البؤس فى غضون محيا
ه سطورا مقروءة وفصولا
فهو لا يعرف التبسم الا
عند ما يستعيد حلما جميلا
الف اليأس قلبه فهو واليأ
س يحاكى بثينة وجميلا
واذا اليأس صد عنه قليلا
قام يبكى على نواه طويلا !
واذا ما النسيم مر عليه
فعليل أتى يؤاسى عليلا
تاه فى عالم الخيال فضاعت
روحه وهى تطلب المستحيلا
حول الارض عالما علويا
مخرجا من وحولها سلسبيلا
واعاد الاثير طوع يديه
ناظما من نجومه اكليلا !

باقة من أشعار شفيق المعلوف

الراعي

مشى وفى كفـــه هـــراوته
وهو وراء القطيـــع مكتئب
ونايه من خـــلال جعبتـــه
يمـــد عنقـــا كمن له أرب
متســـرد الفكر لا يثوب اذا
ينبـــح كلب أو نعجـــة تثب
وطـــالمـــا فى المروج نعجتـــه
طاب على كفـــه لهـــا العشب

***

بالامس قالوا له : حبيبتـــــه
زفت اليهـــــا الحلى والذهب
فلم ينم ليـــــله ولا انطبقت
حتى على طيفهـــا له هـــدب
انى مشى فى الحقـــول لاح له
جفن ووشـــم ومبســـم عذب
فاقتعـــد الصـــخر ثائرا قلقـــا
وراح يهذى ودمعه صــــبب
يقول : اين التى بهـــا ظفروا
ألم يصـــبها من لوعتى شـــجب

أين التى انتزعت فمى قبـــلا
وهى على ســــاعدى تضطرب
قبلتهــا البكر من فمى سرقت
وقلبهــــا من يدى مغتصب
فهل تراها بعـد الذى وهبت
أبقت لغيرى فى الحب ما تهب ؟

***

مال على نايه ومقلتـــــــــه
يشب من خلــف مائهــا لهب
حتى اذا بث ما يجيــش به
غص بما فى ضــلوعه القصب
كأنما الجرح جرح مهجتــــه
كان عـــــلى نايه له تقب
فالنـــاى لا يأتلى على فمــه
يعب من قلبــه وينتحب . . .

ساعى البريد

ســاعى البريد وما ينفك منطلقا
وكل باب عليه غير موصـــود
يسعى بأكداس أوراق مغلفـــة
تفوح منهن أطيــاب المواعيــد
خلف النوافذ أجفـان مشـوقة
اليه تخفق من وجد وتســهيد
بدا فهز عقود الغيــد مقدمه
هز النســيم لحبات العناقيــد
كم قبلة من فم العشاق يحملها
على يديه ويهديها الى الغيد ؟

يا ساعيا بابتسامات توزعها
على الشفاه بلا من وترديد
كم وجه أم عجوز ان برزت له
لم تبق من اثر فيه لتجعيد
تلقى اليها كتابا أن يصب يدها
شدته باليد بين النحر والجيد
كأن كل غلاف منك ملتحف
لابن الى صدر تلك الام مردود

***

وكم وكم رقعة كالحظ مترفة
وهبتها كل كابى الحظ منكود
يا واهبا كل بشرى حين جدت بها
راحت تكذب عنك الفقر بالجود
أبعد بذلك فينا ما بذلت نرى
عينيك فى مأتم والناس فى عيد ؟
او تعلم الناس يوما أنها سلخت
أيامها البيض من ليلاتك السود !

زهرة فى صخرة

حلمت بزهرتها القديمة صخرة
حنت الى عهد التراب الفائت
فتفتقت آمالها عن زهرة
بيضاء لم تك غير حلم نابت
ينشق عنها الصخر وهى كأنها
حى تململ فى ذراعى مائت
ساءلتها فاستجمعت أطيابها
ومضت تقول بهمسهن الخافت

انا لست الا ومضة الذكرى على
تقطيبة الصخر الـكئيب الصامت
قبح يخالطه وميض خــــلابه
أحلى لعينى من جمــال باهت !

الاياب

أى صوت أدعى غداة التنادى
من نداء الاكبـــاد للأكبــاد ؟
صـــدقت ذمة الزمان فعـــدنا
ننفض الجمر من خلال الرماد
هاك ملهى الصبا فيا قلب لملم
ذكرياتى على ضـــفاف الوادى
صفقت بالجناح مســــتطلعات
طلع أوكارها الطيـور الشوادى
علها تستشف من خلل الاظــ
ــلال أظــلال غابر الاعيــاد
يوم أغشى الرياض فى الليـلة القمـ
ـمراء ونبا بين الربى والوهاد
شاردا أنشد النجوم وفى جفـ
ـنى مائى وبين جنــبى زادى

***

بالتى تقطف النــــجوم يداها
ثم ترمى بهن تحت وســـادى
بفتـــاة كأن أجنــــحة الشحـ
ـرور كحلن عينهـــا بالســواد
نقلى يا يد النسيـم على أهـ
ـدابهـا السـود ريشـة العواد

ان اهـــدابها بقيـــــات أوتا
رى شـــدت الى بقـــايا فؤادى

***

نشـــط الشـــوق للأياب ونادى
باسم لبنان فى الضلوع منادى
كيف لبنـــــان والمنوه كثر
لم تصـــفق صـــناجتـــاه لشـــادى
رب داء يحز لبنـــان فى الصلـ
ـــب ولبنـــــان مبرأ الرواد
أمن العـــــائدين أنت اليه ،
عمرك الله ، أم من العواد ؟
قرب الشـــط فليقلك بين الـ
ـموج والشـــوق هودج متهادى
هـــذه فى الفضـــــاء أعلام لبنا
ن على غرة الصـــــباح بوادى
يغمر الفجر منكبيهـــــا فتنكب
عليه مشبوحة الاعضـــــــــاد
قمم صـــدعت على الافق بحرا
هائج اللج صـــــاخب الازباد
تشرئب الجبـــــال منه فهـــلا
ولد البحر من جـــديد بلادى
موطنى ما رشـــفت وردك الا
عاد عنه فمى بحرقة صـــادى
فى قلوب المغربين جـــــراح
حمـــــلوها على الجباه الجعاد

***

لا تلمهم ! فيوم هجرك كانوا
وعذارى العلا على ميعـــــاد

يوم دقوا سواحل الشرق بالفر
ب ولم يهدهم سوى العزم هادى
كلما احتلت المجاذيف شع الا
فق منــــهم بكوكب وقاد
وزعتهم كف الرياح فهــــلا
جمعتهم يد النسيم الهادى ؟
غصص الامهــــات ما هى الا
ذمم فى خفـــــارة الاولاد !
حان أن يخنقوا الشراع ويطووا
علم الفتــح بعـد طول الجهــاد
ذهب الارض ـ يعلم الله ـ ما يعـ
ـدله غير تربة الاجـــــداد

***

يا لطود أعنـــاقه آخــذات
بجبال شـــم من الامجاد
هو لبنـــان هب بنيه سيوفا
تلفظ الروح وهى فى الاغمــاد
هبه مستضعف الجناب فلم يفـ
ـخر بماض ولا ازدهى بتــلاد
أو فهبه كما تشـــاء فحسبى
أن لبنـــان خفقــة فى فؤادى

غمامة هيروشيما

سلبوا الشمس قطعة من لظاها
ورموها على العبـــــاد تدور
فجروها ملء الفضــــاء ذريرا
ت تشظى شرارها المســــتطير

أغيوث ســــوداء تنهل أم نا
ر تبيــد الجسوم أم زمهرير ؟
يا لها من غمامة ساقها الحقـ
ـد فجاشت بما تكن الصدور !
أين منهــا على قبــائل عاد
عاصـــف فيه يومهن الاخير ؟
أين صادوم ؟ أين أعمـدة الملـ
ـح اذا ما تلفت المــذعور ؟
غضب الله صار فى حوزة العبـ
ـد فأين الله القوى القـدير ؟

هل ياترى نعود ؟

هـل يا ترى نعـود الـيك يا لبنـان
فتصـدق الوعود ويسـمح الزمان
فنقطف العنقـود منـوع الالوان
هـل يا ترى نعـود
اليـك يا لبنـان
ما احسـن السـهر في خـلوة الـكروم
وبيننـا القمـر وقربنـا النـجوم
فهـذه الصـور نمر كالغيـوم
هـل يا ترى نعـود
اليـك يا لبنـان
زقزقة العصـفور ورعشة الاغصـان
حتى أرى الصـخور نـدية الالـوان
وعتمـة الديجور نشتفهـا العينـان
هـل يا ترى نعـود
اليـك يا لبنـان
كم سحت في المعمور ما غرني منظـر
فبـلدى المهجور وكوخي الاخضـر
أحلى من القصـور والذهب الاصـفر
هـل يا ترى نعـود
اليـك يا لبنـان

ما احسن الذكر في مقلة الغريب
فهو اذا ذكر موطنه الحبيب
يرتعش النظر وعينه تغيب
هل يا ترى نعود
اليك يا لبنان

الله والشاعر

في كل آونة بعيني اشهد
عظمات ملكك كلها واعدد
وكفى بقولي الله حتى تنتشي
نفسي وتشخص مقلتاي فأسجد
يا صاحب الملك الذي لا ينتهي
أبدا وسدته الملا والسرمد
بيني وبينك الفة ومودة
أبدا تزيد ، ودائما تتجدد . . .
رحماك ! رغم تباعد بمقامنا
اني احبك هل ترى أنا ملحد ؟
أتعد هاتيك النجوم ونورها
أم خلقنا ، أم فضلك المتعدد ؟
يتخاصمون عليك في صلواتهم
وا خجلتاه ! وانت انت الاوحد
فخذ الصلاة من الورود على الشذى
ومن الطيور على المناقر تنشد
نورت أعيننا بأنوار الهدى
فاذا بهن مشاعل تتوقد
فبكل عين للورى لك شمعة
منذورة ، وبكل صدر معبد !

فلما خلقت الموت يا بارى الورى ؟
ولما نموت ولا نعيش ونخلد ؟
ألهمتنا الشيء الكثير ... ولم يزل
هذا الفشاء ، ترى متى يتبدد ؟
ان كان يفنينا الممات فمعشر الشـ
ـعراء من كل البرية أخلد
فى فقرهم كل الغنى وثرائه
ان الغنى لماله مستعبد
لوحات « رافاييل » لا مال يوا
زيها ، ولا أقدارهن تحدد
كم قطعة تغنى النفوس ثقافة
وقصيدة بكلامها يستشهد
فالشعر فى انجيلنا وكتابنا
والشاعران هما : المسيح ، وأحمد !

الى موسيقى

حضنتها قيثارة كأن فيها أضلعك
أودعت فيها كل ما فى الروح ربى أودعك
داعبتها مستلهما فأسمعتنا بدعك ...
وارتعشت أوتارها مقبلات أصبعك
ألحانها درب المنى قلبى مشى فيه معك
من وتر لوتر ضيعنى وضيعك ...

الهزار المنتحر

كنت طلق الجناح غير مقيد
يا هزارى تختال بين الغصون

أسرتك الاقفـــاص كم تتنهـــد
فى جوارى بحرقة وشـــــجون
أين تلك الاغصان من قضبانك
والجداول وقهقهــــــات الازاهر
أين تلك الآيات من ألحـــــانك
فى الخمائل وحسن صوتك ساحر

***

كنت فى الدوح آمنا بصـداحك
متضـــاحك من الورى متشـــائم
غير اللحن بعــد قص جنــاحك
بنواحــك فصرت بالهم واجـم
بجناح جربت فك ســــــراحك
فتكســــــــــــــــر بكرة وبفرة
خضب الريش من دماء جراحك
وتحير فبت للنـــــــــاس عبرة

***

مت أسرا فكفنــــــنك وورودك
والزنابق بموكب تتهــــــــادى
ورثتك الاطيـــار وهى جنـودك
والشقائق مقطبـــــات حـدادا
انما الذنب للجمال بصـــوتك
فى اســارك يا فتنـــــة للنواظر
سبب الحسن شتمه عند موتك
وانتحارك فمت ميتــة شــاعر !

جورج صيدح

١٨٩٣

نحن هنا أمام شاعر مهجرى جديد .. ! ولكنه قديم لانه هاجر الى العالم الجديد سنة ١٩٢٧ .

فالشاعر الصداح جورج صيدح قد قارب الآن فى دوحة الهجرة الامريكية ما يدنو من ثلاثين عاما ، ولكنه عاد الى وطنه كما عودنا المهاجرون أن يعودوا الى أوطانهم بعد كفاح السنين ..

ولكن هل سكت الشاعر صيدح لحظة واحدة فى المغترب عن الغناء والحنين الى الاوطان ؟ اليس هو وترا من ذلك العود الرقيق الحنون الذى تثيره الذكريات الى أرض الوطن فيهفو اليها فى شعر رقيق جميل ؟.. لقد مرت فرقة طرب لبنانية على الارجنتين سنة ١٩٤٨ لتحمل الى المغتربين المتوطنين فى العالم الجديد بعض الالحان العربية الاولى التى سمعوها فى مهاد الطفولة قبل هجرتهم ، فلم يشأ جورج صيدح أن تمر هذه المناسبة من غير قصيدة كلها حنين الى ارض الوطن العزيز ، يقول فيها :

حمائم لبنان هل تذكرين
رفاقك بعد اغتراب الرفاق ؟

لـكم سـجعوا مثلما تسـجعين
خلال الغصون ، حيال السواق
سألناك يا مرسـلات الحنين
أكان الحنـين نذير الفراق ؟
غدونا عشـيرا يناجى عشـير
ونحن بواد ، وأنت بواد !
زجلنـا الاغانى اليـك تطـير
وان الاغانى طيـور الفؤاد !

ولا يقف صيدح عند الحنين واللهفة الى مسارح الوطن ومرابعه ومصطافه ، ولـكنه يتسـاءل فى نغم يشبه الحسرة والتشوق اللاهف عن صـدى صـوته واصوات اخوانه المهاجرين فى سفوح لبنان . وهو حين يستمع فى طرب الى أصوات اللبنانيين القادمين لايفوته أن يسـأل عن مصير أصـوات المغتربين ومبلغ تأثيرها ونفوذها الى أسماع المقيمين فى أحضـان الوطن تحت السفوح أو فوق القمم أو فى جنبات الوطن الكريم :

حمائم لبنـان هل من صـدى
لاصواتنـا فى سـفوح الجبل ؟
صـداك بجوب الينا المدى
رسـول المقيم الى من رحـل
هنا سربك النـازح المقتـدى
يحيى الرسـول بدمع المقل !

والشاعر جورج صيدح يمثل المغترب الحنونأصدق تمثيل ، فهو على طول اقامتـه بدار الغربة واحتمـال الاندماج بها والتأقلم فيها لا يزال يحن الى مغانيه الاولى ومدارج طفولته ، ويشبه المغترب بالوردة التى نثرتها الرياح وبعثرتها الاقدار والقت بها فى مستنقع الغربة الـكئيب :

يا وردتى طرت كذات الجناح
ولم تعودى فى معاد الطيور
رباه ! سلطت عليها الرياح
فحومت فوق الربى والثغور
وانطرحت كالعندليب الصدى
فى صفحة المستنقع الاربد ...

ولم يكن صيدح مختارا فى الهجرة كما كان أكثر المغتربين اللبنانيين والسوريين ، وهو يصرح لنا « بالشدة » التى ألجأته الى الهجرة حين يقول :

وطنى ! ما زلت أدعوك أبى
وجراح اليتم فى قلب الولد !
ما رضيت البين ... لولا شدة
وجدتنى ساعة البين أشد
فتجشمت العنا نحو المنى
وتقاضانى الغنى عمرا نفد

ولكن يظهر أن « الشدة » التى هاجر من أجلها استحالت الى رخاء ، وأن الصعب المستسهل فى سبيل العلا والمنى قد آتى ثماره ، وأنه عاد الى الوطن وفى وطابه كثير من الزاد الذى جمعه الجد والجهد والتعب فى سبيل الحياة ! ولكن هل يوازى المال الذى جمعوه ، ذلك الشىء الثمين الغالى الذى أضاعوه ؟ انه واحد من أولئك النازحين المغتربين الذين عادوا على كبرة من السن وفى أيديهم ندوب الجراح ، وعلى جباههم آثار الكفاح ...

رجعوا كالجند من معركة
باد فيها جيشهم ، الا بقايا
تركوا الجرحى الاسارى خلفهم
والضحايا ... رحم الله الضحايا

ما سـمات النصر فى جبهتهم
غير آثار حراب وشـظايا
كل ما نالـوه من غاراتهم
لا يوازى ما أضـاعوا من مزايا ...
رب كهـل عاد منهوك القوى
كان قبل البين طلاع الثنايا ...

ولـكن لا تاس أيها البلبل الصداح ! فقد كنت حتما سائرا الى الـكهوله المضناه سواء قضيتها فى الوطن أم فى المغترب !

واذا كانت قيثارة جورج صيدح تجيد العزف على الحنين والتلهف الى الوطن فانه قد غزا ميادين أخرى من أبواب الشعر الغنائى فى الوصـف والحب والفكرة والوطنية وفكرة العروبة التى تلون شعر هذا الشاعر بلون زاه جميل ...

ففى خلال النكبة التى منيت بها فلسطين والعروبة وفى أحرج ساعاتها سنة ١٩٤٨ يرتفع صوت «صيدح» فى بونس ايريس قائلا :

وطنى ! مطلـع أنوار الهـدى
بلـدى ! ما أنت للذل بلـد
أو تفدو وتدا للمعتـدى
أين شان العرب من شـان الوتد ؟
لا تطـل عمـرى الى يوم به
تحكم الجرذان فى غاب الاسـد ...

وبعد النكبة بسنة نراه فى قصيدة «هواجس سائح» متجهما والناس يبتسمون :

الحسن يضـحك فى الربى وأنا
متجهم ، وسـواى يبتسـم

جزعى على الاوطـان يصـحبنى
هل فى فلسطين انطوى العلم ؟

وليست « العروبه » عند صيدح كلاما منمقا . او بيانا مزوقا . ولـكنها روح تسرى . ودم يراق على جوانب الشرف الرفيع :

لم يبق فيـكم من عروبتـكم
الا لســـــان مفصح وفم !
ان العروبة ــ يا بلابلهـــا ــ
روح على كف الفتى ودم ...

وفكرة « العروبة » هى الاطار الرحب الوسيع الذى تعمل فيه مواهب الشاعر جورج صيدح وامكانياته . وتنقش فيه آماله . ولـكنه ــ مع رحابه ذلك الاطار ــ لا ينسى وطنه سورية ، ولا ينسى مدينته دمشق التى ولد فيهـا سنة ١٨٩٣ ، ولا ينسى نهر بردى بمياهه وذكرياته العذاب فيقول من قصيدة بعنوان «سوريا» :

سوريا أمة ســل المجد عنهـا
يجب المجد : أنت تسأل عنى
أنا فيهــــا ســـماؤها ونراها
والهواء الذى تنشــق منى ...
أنا تاريخهـــا الذى كتبتـــه
برءوس القنا ، وأطراف لسن

ويقول من قصيدة بعنوان « بردى » :

دمشق أعرفهـا بالقبــة ارتفعت
بالمرجة انبسطت ، بالشاطىء ابتردا
بالطيب يعبق فى الوادى وأطيبه
فى تربة الارض غذاها دم الشهدا

ولـكنه لا ينسى أية بقعة من بقاع العروبة ، وخاصة اذا كان له فيها ذكريات ، ولقد أقام فى « القاهرة »

مغتربا ـ استغفر الله بل أخا كريما بين اخوان ـ من سنه ١٩١١ الى سنة ١٩٢٥ ، اى قبل رحلتـه الى العالم الجديد بسنتين . فلم تنسه السنون الطوال مصر ولا ذكرياته الغوالى فيها ، فقال فى سنه ١٩٤٨ قصيده بعنوان : لبيك يا مصر ، يقول فيها :

لبيك يا مصر ! قد ناديت ذا مقة
لا يذكر النيل الا والحشا صادى
كنت الضحى فى حياتى بعد ما طلعت
من غوطة الشام فجرا فى سما الضاد
ما أنت فى شرعة الاحباب « قاهرة »
بل أنت قاهرة المستأسد العادى
فى تربك الطهر ذوبت الشبـاب فهل
زكا على الروض بعدى زهر أكباد ؟
لا تجحدى يا نخيلات الصـعيد دمى
والطلع نور مصبوغا بفرصاد ...

أخشى أن يطول بنا نفس الحديث عن جورج صيدح فى مجال محدود . ولـكن لابد أن نذكر على عجل أنه ولد فى دمشق وتعلم بها ، ثم أتم تعليمه بمدرسـة عينطورا بلبنان ، وكان الاخطل الصغير « بشـارة الخورى » ينشر له شعره فى جريدته « البرق » وهو طالب فى العقد الثانى من العمر. وكان نصيب «فنزويلا» من صيدح عشرين عاما قضاها فى الصفق بالاسـواق والبيع والشراء ، كما كان نصيب « الارجنتين » منه خمسة أعوام كان آخرها سـنة ١٩٥٢ ، ومنـذ ذلك الحين ظل يتنقل بين الشرق والغرب ، والقديم والجديد حتى القى عصا التسيار بمدينة بيروت سنة ١٩٥٤ . وبعد ذلك بقليل دعتـه الغربة التى الفهـا الى باريس فألقى فيها رحله حيث يطالعنا الى اليوم برسـائله ،

وشعره الوفى الرصين. وحيث يظللنا على البعد بصداقته ومودته ومروءته النادرة ...

وله ديوان « النوافل » الذى طبع بالارجنتين سنة ١٩٤٧ وخصص ما يجمع من ثمنه لنصرة قضية فلسطين . وقد علق الشاعر ايليا أبو ماضى فى مجلته « السمير » التى تصدر بالعربية فى «بروكلن» على تلك المأثرة بواحدة من يومياته عنوانها : « شاعر يبذل الانفسين : الروح والمال » ...

أما ديوانه « نبضات » فقد طبع فى باريس سنة ١٩٥٣ وزين بلوحات فنية بريشة الفنان العراقى جميل حمودى ..

وفى سنة ١٩٦٠ أصدرت دار مجلة شعر ببيروت ديوانا ضخما له بعنوان « حكاية مغترب » وجعل اهداءه « الى كل عربى اللسان والوجدان » .

وكان من أثر نكسة يونيو سنة ١٩٦٧ فى نفس صيدح أن أصدر ديوانه « شظايا حزيران » فى طبعتيه الاولى سنة ١٩٦٩ ، والثانية المزيدة سنة ١٩٧١ .

وفى سنة ١٩٧١ صدر له « شظايا أيلول » والبقية تأتى .

أما كتابه « أدبنا وأدباؤنا فى المهاجر الامريكية » الذى صدرت طبعته الاولى فى القاهرة سنة ١٩٥٦ ، وطبعته الثالثة فى بيروت سنة ١٩٦٤ فهو يعد من أوثق وأمتع مصادرنا عن الادب العربى فى المهجر الامريكى الشمالى والجنوبى ، وفيه من تدقيق صديقنا صيدح وتعمقه وتتبعه للمسائل ، وخطراته اللماحة الذكية ، وخفة ظله ما يجعله عمدة لكل باحث فى تيارات الادب العربى فى العالم الجديد ..

ساعة التجريح

رفقا بها يا مبضـــــع الجراح
شرحت قلب الوالد الملتـــــــاح
ان زدت ايلاما فضـــحت تجلدى
وجمعت بين صيـــاحها وصيـــاحى
والله لو أطلـــــقت روحى لارتمت
نحت النصـــــال تصـــدها بجراحى
هذى القطاة ، قصاصة من ريشها
نكفى اذا انتثرت لقص جنـــــاحى
ماذا جنت وهى العظيمــة فى الربى
حتى تســـــام خشـــارة الاقداح ؟
بالامس مدت عنقهـــــا من وكنها
واليــــوم تشـــــهد مدية الذباح
اليـــــاسمين الفض فى أكمامه
غبن النضــــــارة أخـــذه بالراح
أنا لا أخدشـــــــه بغير نواظرى
وبغير شــــــم عبـــيره الفواح
مالى أراه على الخـــوان مجرحا
واكاد الشـــم انمـــل الجراح ؟ !

(*) نظمها الشاعر بمناسبة عملية جراحية عملت لابنته الوحيدة

ويحي ! دفعت الى المشـــارط فلذة
كنت الضـــنين بهـــا على الارياح
صرعت من الآلام فى غيبـــــوبة
سكرت بها وأنا الصريع الصـــاحى
قالوا : غلوت بحبهـــا فأجبتهم :
ويل الشـــجى من الخلى اللاحى !
النوح ان يثقل على أســـــماعكم
صـــلوا لأجل نجاتها وصـــداحى

هى فرحة للوالدين وحيـــــــدة
يتآسيـــان بهـــــا على الاتراح
ان الذى أشفى على خوض الدجى
مثلى ليقـــدر قيمة المصـــباح . . .
آمنت فى علم الطبـــيب ، وان فى
جرح الجسوم ســـــلامة الارواح
رباه ! ســـدد كفه وســـلاحه
انى طرحت على يديه ســـــلاحى !

حمائم لبنان

(نظمها محييا فرقة طرب لبنانية وفدت على الارجنتين ..)

حمائم لبنـــــان ! هـــل تذكرين
رفاقك بعـــد اغتـــراب الرفاق ؟
لـــكم ســـجعوا مثلمـــا تســـجعين
خلال الفصـــون ، حيـــال الســـواق
ســـألناك يا مرســـلات الحنـــين
أكان الحنـــــين نذير الفراق ؟
غدونا عشـــيرا ينـــاجى عشـــير
ونحن بـــــواد وانت بـــــواد

زجلنـــــــا الاغانى اليك نطـــــير
وان الاغانى طيـــــور الفؤاد . . .

***

حمائم لبنـــــــان ! مدى الهديل
جنــــاحا . نمد اليه الجنــــاح
شراعان . . . كل يروض السبيـــل
الى موعد ضربتـــــــــه الرياح
سلى عنهما روغان الاصيــــــل
وزهو الليـــالى . ونزو الصبـــاح
اذا انطلقـــا كانطـــلاق الزفـــير
أو التقيــــــا كالتقـــــاء الزناد
سرت خلجـــــات الهوى فى الاثير
وعانق كل منـــــاد منـــــــاد

***

حمائم لبنـــان هل من صـــدى
لأصـــواتنـا فى ســفوح الجبل ؟
صـــــداك يجوب الينـــا المدى
رســـول المقيـــم الى من رحـل
هنـا سربك النـــازح المفتـــدى
يحيى الرســــــول بدمع المقل
ويصــــفى الينــا كمن يستجير
على البين بالنغم المســـــتجاد
سلام على ســامع فى الضـــمير
من المنشدين نداء البــــلاد . . .

ساعة الغروب

هنـاك على مذبح الرابيـــة ... يموت النهــار
وفى هيكل الغابه الساجيـة ... شموع تنـار

يجز الشعاع رءوس الشجر ... فتجرى الدما
كأن الاه الجمـــال انتحر ... ببـاب السما

الام تشـبث كف الزوال ؟ ... بشعر القلل ؟
لقــد سلمت هامهـا للظلال ... وضاع الامل !

ترى أتلاقت عيون البشـــر ... فـكان الشفق
وأفضـت بما فى القلوب استتر ... فحل الغسق

أتشــكل فى الارض أم ولد ... بهـذا المســا
ومن صــدرها يستمد الجلد ... لهيب الاسى

افيهـا فتـــاة على عريهـا ... تسح الدموع
تحاذر تأكل من ثديهـــــا ... وان طال جوع ؟

أم انى الذى قد أعار الغروب ... وشـاح الالم
زفرت ، فشق زفيرى الدروب ... وشـف القمم

بلغت بعمرى مســاء الحياة ... فودعت شمسى
بمرثية تصـــبغ الـكائنات ... بالوان نفسى

وفى البحر، فى منتهى البحر نار ... كنار الهضاب
هى الشمس فى ساعة الاحتضار ... تقاسى العذاب

وتستخرج اليم هل من مقر ... به تستريح ؟
اذا بأديم العباب انشطر ... بحجم الضريح

ومد الذراع وئيدا وئيد ... الى فرعها
وزاد فهدهدها بالنشيد ... مدى نزعها

هوت كرة النور للهاوية ... وطاب القرار !
فصرت أحن الى زاويه ... بقاع البحار..

مصير وردة

يا وردتى ! طرت كذات الجناح
ولم تعودى فى معاد الطيور
رباه ! سلطت عليها الرياح
فحومت فوق الربى والثغور
وانطرحت كالعندليب الصدى
فى صفحة المستنقع الاربد ...

***

وافيتها فى الماء عند الغسق
وحولها الاقذار طوف يطوف
كأنها بين الدياجى شفق
تناثرت من بردتيها شفوف
على عراء الافق الاسود
وعورة المستنقع الاربد . . .

لهفى عليهــا ! ما اذل الاســـير
آســــــره عبــــد دعى الحسب
رباه ! لو ألقيتهــا فى الغــدير
لاحتضــرت راقصــة من طرب
بريئــة من دنس المســـــند
فى حمأة المستنقع الاربد . . .

***

أى وردتى فى ثوبك الناصـــع
وحظــك الفاحم ، هزؤ القــدر
ما لى يد فى الـكوكب الســاطع
خلف الغيـــوم الخانقات استتر
ضـــاع سنـــاه كالعبــير النــدى
منك على المستنقع الاربد . . .

***

سألت عنك الروض ، والروض نام
عن خطبك الفادح ملء الجفون
كأن ما كنت عــروس الخــزام
ســيدة الازهار ، تاج الغصون
غابت عن الرائح والمغتـــــدى
ذكراك فى المستنقع الاربد . . .

***

لو كنت شوكا ما غزتك الرياح
ولا ترامتك الذرى والســـفوح
اذا اســــــتطالت غمزات الوقاح
اليك آبت كفه بالجروح . . .
مشربك السلســـــال فى الانجد
لا كدر المستنقع الاربد . . .

واختلج الماء لريب مزق
احشاءه من وشوشات النسيم
فابتلع الوردة الا العبق
منها تهادى فى خلايا السديم
كأنه روح لمستشهد
رفت على المستنقع الاربد..

شكر الله الجر

على الرغم من أن قرية فتوح كسروان بلبنان هى الارض التى استقبل الوليد « شكر الله الجر » أول نسمات الحيـاة فيهـا فان « لوادى يحشوش » – مسقط راس الصحفى الكبير المرحوم «داود بركات» – تذكارات أدبية وروحية لا يمحوها الزمان ... فهناك فى هذا الوادى الجميل ، حيث مراشف الشفق الدامى تلتظى نورا ونارا ...

والنهرَ يفرش حولنـــا زبدا كمنتثر النضـــار
والشمس عند مدارج الـ أفق البعيد بها اصفرار

هناك كان يجلس شيخ الصحافة العربيـــة داود بركات ، وحوله التلامذة والرفاق كأنهم تلامذة صغار ، وهو يرسل الـكلام جامعا بين الدعابة والوقار ... وفى هذه الحلقة الادبية الغالية كان الفتى شكر الله ..

أما قرية جبيل اللبنانية – حيث نهل الفتى شكرالله معارفه الابتدائية فى مدرســة الاخوة المريميين – فهى على صغرها بلد الذخائر والودائع ، وللعذارى فيهـا بعيونهن وبراقعهن السود – منذ أكثر من نصف قرن – أثر ظل باقيا فى نفس الشاعر وهو فى مهجره البعيد ، وقد أفصح عنه وهو ينشد قصـيدة فى تكريم الشاعر القروى ... فهو فى البرازيل لم ينس الهوى فى لبنان :

وليالياً معسولة الذكرى معطرة المضاجع
والشاطىء الوردى بين جوانح الاسحار هاجع
والموج دغدغ فى الضفاف ملائكا جفت المخادع
والفجر كالزبد المفتح عن زنابقه النواصع

ولقد ظل وادى يحشوش يداعب خيال الشاعر فى مغتربه ، فتراه يحن اليه ويذكره فى ساعات اليأس قائلا :

سلام على الوادى الذى قد أظلنى
زمان الصبا أيام لم أعرف الكربا

وذهب الصبا بحلاوته ونضارته ، وترك الشاعر وطنه سنة ١٩١٩ (١) مهاجراً الى البرازيل ملتمساً الرزق عن طريق التجارة ، ولكن الصحافة أغوته ، ولعله تأثر فى ذلك بقريبه داود بركات ، فأنشأ مجلة « الاندلس الجديدة » ، وبعدها أسس « الزنابق » . وظلت أمواج الحياة تراوح به وتفادى بين الصحافة والتجارة ، وهما عملان لم يمنعاه عن التغنى على قيثارة الشعر ، فأخرج ديوان « الروافد » سنة ١٩٣٤ ، وديوان « زنابق الفجر » سنة ١٩٤٥ . وقد غلب شعر الوطنية والحنين الى الوطن عند الشاعر شكر الله الجر الى حد أن ديوانه « الروافد » كاد يكون كله شعراً وطنيا محترق الانفاس . وعلى الرغم من ايمانه بأن شعر الوطنية يزول بزوال المناسبة التى قيل فيها ، وبأن شعر حافظ ابراهيم الوطنى لن يبقى بقاء سائر

---

(١) نقلت تاريخ هجرة الشاعر الى البرازيل سنة ١٩١٩ من الاستاذ جورج صيدح وغيره ، ولكن شكر الله الجر نفسه صحح ذلك فى مقال له جيد جدا بعنوان « حقائق حول القضية الاندلسية » منشور بمجلة الضاد الحلبية عدد ٩ ، ١٠ سنة ١٩٦٩ صفحة ٤٣٦ ، وذكر فيه أنه هاجر سنة ١٩٢٣ . وهو القول الفصل . وقد ذكر يعقوب العودات هذا التاريخ صحيحا فى كتابه « الناطقون بالضاد .. »

اشعاره ، فانه جمع فى « الروافد » قصائده الوطنية التى لا تخلو من صور فنية ، ولوحات رائعة لطبيعة الوطن وأرضه وسمائه .

ولا يخلو شعر شكر الله الجر من المناسبات العامة والخاصة ، فهو تارة يشترك فى تكريم شاعر بقصيدة ، وطورا يهنىء أحد رجال السلك السياسى المصرى ويكرمه مع الجالية العربية فى البرازيل ... الا أن الرثاء يكثر فى ديوانه . ولعل حافظ ابراهيم لم ينفرد بكثرة المراثى حين قال :

اذا تصفحت ديوانى لتقرأنى
وجدت شعر المراثى نصف ديوانى

فان ديوان شكر الله تكثر فيه مرثياته للملك حسين والشاعر فوزى المعلوف ، والاديب طانيوس عبده ، وسعد زغلول ، وجبران خليل جبران ، وداود بركات رئيس تحرير الاهرام وغيرهم .

ولقد أحسن الشاعر وصف طبيعة لبنان حين ذكره مهاجرا ، كما أحسن وصف الطبيعة فى أمريكا الجنوبية ، فهو وصف يدل على مزج الحس بالشعور ، وتحويل المشاهد الى انفعالات وانطباعات حية ، كما فعل فى قصيدته «شلال تيجوكا» ، التى لم نجدها فى ديوانه ، ولكنا نقلناها عن مجلة المقتطف « جزء ابريل سنة ١٩٣٢ » .

والشاعر من دعاة التجديد ، لا فى الادب وحده ، ولكن فى حياة الامة الاجتماعية ، وقد كان له رأى المؤيد فى حركة التجديد التى قام بها « أمان الله » فى أفغانستان ، الا أن الشاعر اللبنانى البليغ « أمين ناصر الدين » اتخذ موقف المعارض من هذه الحركة ، وقامت بين الشاعرين مناظرة شعرية حادة فى صحيفتى

« الصفاء » و « البريد » اللبنانيتين في افسطس سنة ١٩٢٨ .

وعلى الرغم من روح التجديد عند الشاعر «الجر» فانك تلمح على شعره آثار المحاكاة ، وخاصة قصيدته « المنطاد زبلن في سماء ريودى جانيرو » فقد تأثر فيها بقصيدة شوقي في الطيارين الفرنسيين « فدرين » و « بونيه » التي يقول فيها :

يا فرنسا نلت أسباب السماء
وتملكت مقاليد الجواء

فقد حاكاه فيها حتى في الوزن والقافية ! وفيها يقول شكر الله الجر :

ارأيت الحوت في عرض الفضا
هاويا من بين أبراج السماء ؟

وحوت شكر الله الجر هنا هو « حوت » الشاعر شوقي الذي يقول :

أو كحوت يرتمى الموج به
سابح بين ظهور وخفاء

ويظهر أن الشاعر شكر الله الجر قد مل الغربة عن وطنه أربعين عاما ، فودع أرض مهاجره في البرازيل سنة ١٩٦٢ الى قريته يحشوش ، حيث تفرغ للشعر والكتابة ، فانجز ديوانين هما « اغاني الليل » و « أضواء على الحياة » ، ونشر في مجلة الاديب سلسلة من التراجم لبعض المظلومين من شعراء المهجر ، وكان أحد الكتاب اللامعين والشعراء الفحول في مجلة « الضاد » الحلبية التي يصدرها أخونا الشاعر عبد الله يوركي حلاق روضة من رياض الادب العربي الحديث

الحديقة

غدا ستعرى بنان الخريف
أفانين أشجارك الزاهرة
وتنثر كف الشتاء هباء
بقايا وريقاتك الناضرة
وتحجب عنك تغور النجوم
غمائم فى افقها سائرة
ويغشاك عند الصباح الضباب
غدا ستلملم عنك الطيور
الجناح الى أربع قاصية
فلا ما يزقزق فوق الغصون
ولا ما يرف على الساقية
بلى قد يمر عليك الغراب
وينعب فى الدوحة العارية
وبعض النعيب نذير الخراب !
سيجفو ظلالك أهل الهوى
وتحتلك الوحشة المرعبة
فلا تسمعين خفوق القلوب
ولا رنة القبل المطربة !
ولا تلمحين بنان الحسان
تداعب أثمارك الطيبة !
فهل تحسبين لهذا حساب

لئن يحزننـــــــك ان الخريف
غدا ســــــيبدل من نضرتك
فسوف يعيـــد اليك الربيـــع
عريس الزمان ســـــنا بهجتك

فيرقص طيرك فوق الغصـــــون
ويستضـحك النور فى وجنتـك
ويجرى بعودك ماء الشباب
ولـكن قلبى كما تعهـــــدين
تـكر فصول ، وتأتى فصـول

وكل الفصـــــول لديه خريف
وكل الليـــالى شتـــاء طويل
فمـــاذا أرجى وقد جف فيه
معين الشباب ، وعاث الذبول
بزهر الامانى فأمسى تراب ؟

قشور ولباب

اترى الاشـجار تدرى أنهــا كانت بذورا ؟
ام ترى الاثمار تدرى أنهــا كانت زهورا ؟
ليس عنـد الارض علم أنها كانت ضبـــــاب
لا ولا الابريز يـدرى أنه كان تـــــــراب

كل ما خلنـــاه قشرا صار فى الارض لبــاب
اتـــرى الارواح تمشى جوهرا خلف التـــراب
ان أمر البعث ســـر كائن خلف الوجـــود
ووجود المرء غصـــن جذعه تحت اللحـــود

الشاعر التائه

ألا أيها الماشي على الارض ذاهلا
تدور كأسراب الفراش على الزهر
يداك على قلب الزمان وأهله
ورجلاك من نجم الدجى فوق منبر (١)
جناحك في الآفاق يمسح شمها
وظلك يجري كالسفينة في البحر
فديتك ! هل تبقى مدى العمر تائها
تطل على فجر ، وتغرب عن فجر ؟

قالت وقلت

قالت : الام الهوى والكأس والوتر
ولي شبابك لا زهر ولا ثمر !
فقلت : ما هم ان شمس الصبا غربت
اذ طالما من شباب الروح لي قمر
ان مات في الروض صداح يظل على
مباسم الورد من افلاذه نثر
كم عرت الريح غصنا من أزاهره
وظل يسكر من أطيابها السحر
حتى العيون اذا ما الكحل فارقها
يبقى بأهدابها من ظله أثر !
ان الربيع وان أذوت نضارته
عند الفراشات من ألوانه صور

(١) كذا بالاصل وهو من غير وزن بقية المقطوعة

فهرس

صفحة

الفصل الاول : شعراء المهجر الشمالي

الفصل الثاني : شعراء المهجر الجنوبي

وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

جدة ــ ص . ب رقم ٤٩٣
السيد هاشم على نحاس
المملكة العربية السعودية

انجلترا :

THE ARABIC PUBLICATIONS
7, Biskopsthrope Road
London S.E. 26
ENGLAND.

البرازيل :

Sr. Miguel Maccul Cury.
R. 25 de Março 994
Caixa Postal 7106
Sao Paulo, BRASIL.



هذا الكتاب

نعيش فى هذا الكتاب مع بضعة عشر شاعرا عربيا من شعراء المهجر الامريكى الشمالى والجنوبى ، ونعيش مع أشعارهم التى سجلوا فيها أرق وأعذب ما سجله الشعر العربى الحديث ، منذ وطئت اقدام هؤلاء النازحين الماهدين أرض العالم الجديد ، فجعلوا منه أندلسا جديدة ،

ولم ينعزلوا فى عالمهم النائى الغريب عن أرض وطنهم العربى ، لغة وعادات وتقاليد . ولم يسمحوا للبيئة الجديدة أن تذيبهم .. بل أخذوا – بين متاعب الهجرة ، ومواجع الغربة – يغنون أحزانهم ،

وافراحهم ، وأحاسيسهم ، ومشاعرهم ، ومواجدهم . وزودتهم البيئة الجديدة بافكار جديدة ، والهامات جديدة ، وعبارات جديدة . وظلوا ينظمون بالعربية لها كيانا فى أرض غير أرضها ، وتربة غير

تربتها ، وبين السنة ورطانات غريبة عليهم . وزادهم الحس العربى المرهف امعانا فى الشدو على الوتر العربى ... فطعموا الادب العربى الحديث بحصيلة وافرة من الشعر المتجدد ، عبروا بها عن [illegible]

الحب ، والخير ، والشر ، والنفس ، والخلود ، والانسـ[illegible] الشرقية ، والقومية العربية ، وأدب الاغتراب والحنين [illegible] يوازى حنين الابل الى اعطانها ...

وقد تقرى المؤلف فى تتبع دقيق أحدث ما نظمه [illegible] الشمالى والجنوبى حتى يومنا هذا . ووجد من المجـ[illegible] العالم الجديد ، ومن المؤلفات العربية الحديثة هناك ، [illegible]

للنماذج الجيدة التى اختارها ، وللشـ[illegible]ـراء الذين عرف [illegible] معرفة أتاحت له أن يترجم لهم ، و[illegible] بهم فى أيجاز دقيق مشرق انيق ...



١٠ قروش